
جارودى
الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية
الناشــر
دار الغــد العربى
٣ ش ـ دانش ـ العباسية
ت: ٢٨٥٦١٢٢ ـ ٢٩٧٣٨٧٠ ـ القاهرة

اهداءات ٢٠٠٠

د. احمد عصمت عبد المجيد

امين عام جامعة الدول العربية



كتاب الغد - ١

رجاء جارودى

الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية

ترجمه عن الفرنسية
قسم الترجمة - بدار الغد العربى

الطبعة الأولى

١٩٩٦

الناشر
دار الغد العربى
٣ ش. دقش. العباسية
ت: ٢٨٥٦١٢٢ - ٢٩٧٢٨٧٠ - القاهرة

كتاب الغـد

سلسلة غير دورية تهتم بالقضايا
الاجتماعية والثقافية والسياسية
التى تهم القارئ العـــربى ..

المشرف العام على السلسلة

حمـــدان جعفـــر

الغلاف بريشة : مدحت عبد السميع

العنوان الأصلى للكتاب

Roger Garaudy

Les Mythes fondateurs de la politique israélienne

SAMISZDAT
Roger Garaudy
1996



كلمة الناشـــــر

لقد كان روجيه جارودى، المفكـر الفرنسى المعروف، والذى اعتنق الإســلام منـذ عشـر سنوات وتسمى بـاسم رجـاء جـارودى، من كبـار رجـالات الحزب الشيـوعى الفرنسى حيـث كان عضـوا بارزا فى لجنتـه المركـزية. ونـاضل منذ شبـابه فـى صفوف هذا الحـزب، وله فـى هذا المضمار كتاباتـه ومؤلفاته العديدة. ولكنـه ما إن اهتدى إلى الإسلام، وذاق حـلاوتـه عن علم ومعـرفـة، حتى انبـرى يكتب عن هـذا الـدين الحنيف ويدافع عنـه وعن تعاليمه فى ديار الغرب، ولـه فى ذلك أيضا صولاته وجولاته التى مازالت تثير الجدل والنقاش.

ومن عجائب المفـارقات، بل ومن محـاسن الصُّدف أن يقيض الله للعـرب وللفلسطينيين خاصـة من يـدافع عن حقـوقهم التاريخيـة ومن ينادى بـالعدالـة ورفع الظلم عنهم. فقـد كرّس رجـاء جارودى حيـاته ووقفها على جليل الأعمـال التى تدعو إلى رفعـة أمة الإسلام وإيقـاظها من سباتهـا وتذكيرها بعظمـة حضارتها وبما لهـا من أفضال على العلم والعلماء. ولقد جلب هذا عليه الكثيـر من المشاكل وأثار عليه حفيظة مثقفى الغرب وكسـالى الشرق، غيـر أنه لم يحد عن طـريق الحق رغم مزاعم المتهـافتين والحاقدين الذين ادعـوا زورا وبهتانا أنه قـد ارتد عن

الإسلام، وتلك لعمرى دسيسة صهيونية لإظهاره بمظهر العدو للعرب والمسلمين وليس لليهود فقط. ومما يؤسف له أن العرب قد ابتلعوا هذا الطعم بسذاجة وكالوا له السباب والاتهامات، فى الوقت الذى شنت عليه الصهيونية وأتباعها فى الغرب حربا شعواء.

إن موقف جارودى من اليهود والصهيونية وقيام دولة إسرائيل هو موقف معروف ولا يحتاج إلى دليل وهو الأمر الذى أقام قيامة اليهود عليه عام ١٩٨٢ عقب صدور بيانه الشهير «مجازر لبنان: معنى العدوان الإسرائيلى»، والذى وقَّعه معه الأب ميشيل لولون والقس إيتان ماتيو. وقادت الحرب عليه جمعية «ليكرا» وهى جمعية صهيونية دولية مقرها باريس وتدعى مناهضة العنصرية واللاسامية. ودأبت هذه الجمعية على محاربته بشتى الطرق المشروعة وغير المشروعة. ونجحت فى تقديمه إلى المحاكمة بتهمة النيل من الجنس اليهودى. وهى نفس التهمة التى يقف جارودى فى الوقت الحالى بسببها أمام المحاكم الفرنسية بمقتضى قانون جيسو الذى صدر عام ١٩٩٠، والذى يعتبر إعادة النظر فى تاريخ اليهود جريمة ضد الإنسانية.

ففى أعقاب صدور هذا الكتاب الذى بين أيدينا، تلقى جارودى دعوى قضائية لأنه قال فى كتابه: إن النصوص التوراتية أو اضطهاد هتلر لليهود لا يمكن أن يبررا سرقة أراضى فلسطينية واقتلاع سكانها وقمعهم بتلك الصورة الوحشية والدموية، كما أنها لا يمكن أن يبررا الخطة الإسرائيلية الرامية إلى تفكيك أواصر الدول العربية وتفريقها.

ولقد حاول جارودى فى كتابه هذا أن يستكشف حقائق التاريخ الحديث فى ضوء شهادات عتاة الصهيونيين وأن يكشف النقاب عن زيف الأساطيرُ التى تأسست عليها السياسة الإسرائيلية فقام بتفنيد ما استندت إليه الصهيونية العالمية لإنشاء دولة إسرائيل، بالحجج والوثائق التاريخية، وهو ما أثار عليه شواظ غضب اليهود الذين شنوا عليه حربا ضروسا باتهامه بمعاداة السامية وبنفيه للتاريخ الرسمى الذى يؤكد على أن ضحايا الحرب العالمية الثانية من اليهود قد بلغوا ستة ملايين يهودى. وقد نجحت هذه الحملة فى تعبئة الرأى العام الفرنسى ضده، فى حين إنه لا يملك حتى حق الدفاع عن نفسه بعد أن رفضت جميع الصحف وأجهزة الإعلام نشر أو إذاعة حرف واحد من دفاعه عن نفسه. واكتفت بالهجوم على شخصه وعلى كل من ساندوه من أمثال الأب بيير، وهو من أكثر الشخصيات الدينية شعبية فى فرنسا، وعرف بمواقفه الشجاعة فى الدفاع عن الفقراء والمساكين والأجانب. فهو مؤسس جمعية «عمواس» الخيرية التى تسهر على تقديم العون للفقراء وعديمى المسكن وتخفيف وطأة الفقر عنهم وعن ذويهم. وقد تعرض هذا الأب الجليل فى الأيام الأخيرة لحملة ضارية من الصحافة لوقوفه فى صف واحد مع صديقه جارودي، وأسقطت عنه جمعية «ليكرا» المذكورة عضويتها الفخرية، فاضطر وهو فى سن الرابعة والثمانين إلى الابتعاد عن باريس، والهجرة إلى الجبل لتفادي الملاحقات والامتهانات بعد أن نعتوه بالسفه والخرف.

●●●

ويحتوى الكتاب على ثلاثة أجزاء، فضلا عن مقدمة وخاتمة. فالجزء الأول يتناول «الأساطير اللاهوتية» ويعالج الجزء الثانى موضوع «أساطير القرن العشرين» أما الجزء الثالث فقد كرسه للحديث عن «الاستخدام السياسى للأسطورة». وفى تمهيده لهذا الكتاب يتساءل جارودى: لماذا هذا الكتاب؟ ويرد على ذلك بأنه جزء من ثلاثية خصصها لمحاربة التطرف لدى جميع الأديان السماوية. واستطرد يقول: إن هذا الجزء ينصب على الأساطير التى قامت عليها السياسة الإسرائيلية، . وقد حاولت شجب ما فيها من هرطقة سياسية صهيونية ترمى إلى استبدال رب إسرائيل بدولة إسرائيل، وإن دولة إسرائيل ما هى إلا «رد الرب على الهولوكوست». ثم قال: «إن هذا الكتاب يحافظ بأمانة على النقد السياسى والأيديولوجى دون إسراف أو تعسف. ونعتقد أنه مساهمة منا فى معركة التوصل إلى سلام حقيقى يقوم على احترام الحقيقة التاريخية والقانون الدولى، وتفعيل التاريخ النقدى للعالم المعاصر».

والواقع أن الذى أثار حفيظة اليهود والصهاينة فى الغرب هو كلامه عن معسكر أوشفيتز. وعن التشكيك فى رقم ٦ ملايين يهودى من ضحايا الحرب، وهو أمر يعتبر منطقة محظورة وقدس الأقداس. وقد نفى جارودى عن نفسه تهمة معاداة السامية أو اليهود، وأكد إنه يقف فقط مع الحق والحقيقة .

●●●

وإن لمن دواعي سرور [دار الغـــد العربي] أن تقدم هذا الكتاب القيم لقراء العربية . . ولشباب هذه الأمـة بوجه خاص هذه الأمة التى لن تموت أبدًا . . مهما حاولت الصهيونيـة العالمية ، والاستعمار الأمريكى الجديد . . وإذا كـانت هذه الحقيقة التى نعيشها تشهد تـرديًا لا مثيل له فى تاريخ هذه الأمـة إلا أن الغد المشرق لهذه الأمة سـوف ينبلج صباحه عما قـريب ، وسوف تنهض الأمـة من غفوتهـا حاملة رسـالتها السـامية وحضارتها العـريقة لتعيد صياغـة الحياة على أرض العرب من المحيط إلى الخليج بـالحريـة والحق والعدل والكرامـــــة وإن غدًا لناظـــــره قريب . . .

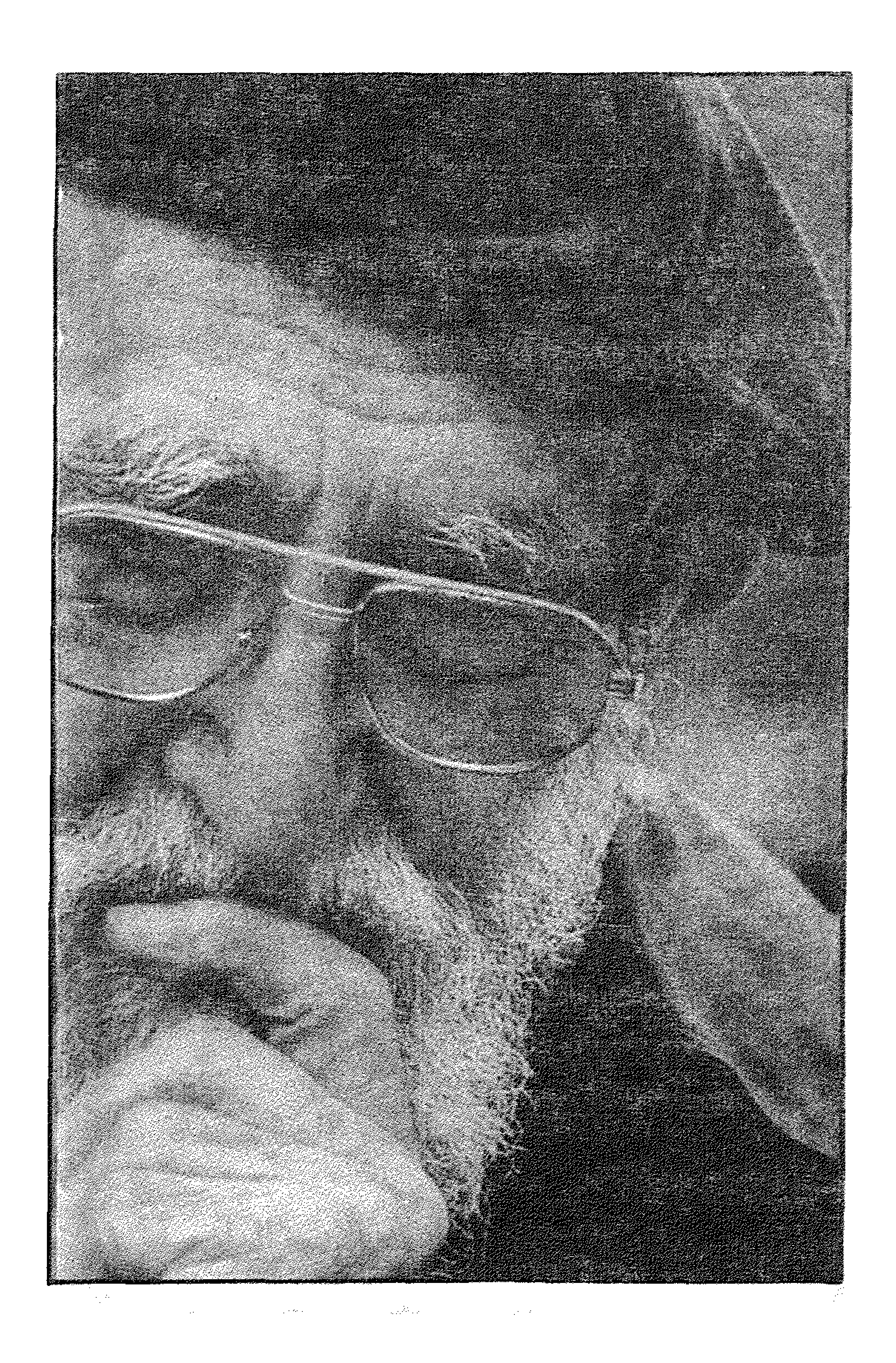
حمدان جعفر

مدير عام دار الغد العربي

●●●



روجيه جارودي



الأب بيير



الأساطير المؤسّسة

للسياسة الإسرائيليــة



تنـويه من المؤلف

« إنــه بعــد أكثــر من نصف قــرن صـــدرت خــلالــه كتبى عن أكبـــر دور نشـر فـرنسية، فإننى مضطـر اليوم لأن أطبـع هـــــذا الكتـــــاب على نفقتــى الخـــاصـــة، لأننــى منــذ عـــام ١٩٨٢ قـــد خـــرقت أحـــد المحــرمـات عنــدمـــا انتقــدت السيـاســة الإســرائيليــة، التى يـدافـع عنهــا الآن قـــانـــون «جيســـو فـــايـــوش الغـــاشـم» الــذي صـــدر فى ١٣ يــوليــه ١٩٩٠، والـذى يعيــد فى فــرنســا جــريمـة الــرأى التـى ســادت عصــر نـابليـون الثـالث وجعلت قـانـونـا قمعيا يعوض ضعف الحجج».

●●●

مقدمة المؤلف

هذا الكتاب هو تاريخ الهـرطقة . وهو تاريخ يكمن فى جعل الدين أداة للسياسـة بإضفاء القـداسة عليها عـن طريق قراءة حـرفية وانتقـائية للكلام المنزَّل .

وهذا هو المرض القاتل فى نهايـة هذا القرن الذي سبق لى أن عرَّفته فى كتابى عن التطرف الدينى .

ولقد حاربت هذه النـزعة لدى المسلمين فى كتابي «**عظمة الإسلام وانحطاطه**» مجازفـا بأن أغضب كل من لا يحبون أن أقـول «إن التطرف الدينى هو مرض الإسلام» .

وحاربت هذه النزعة كذلك لدى المسيحيين فى كتابى «**نحو حرب بين الأديان**»، مجازفا بأن أغضب كـل من لا يحبون أن أقول «**إن مسيح بولس ليس هو المسيح عيسى**» .

وأنـا أحـارب هـذه النـزعـة الآن لـدي اليهـود فى كتـابى «**الأساطير المـؤسِّسة للسيـاسـة الإسرائيليـة**» مجـازفـا بأن أثير ضـدى عـواصف الصهاينة ـــ الإسرائيليين الذين لم يعجبهم أن يذكِّرهم الحـاخام هيرش بأن «الصهيونية قضت بأن يصبح الشعب اليهودي كيـانا قوميا . . وتلك هى الهرطقة» .

[المصدر: جريدة الواشنجتن بوست الصادرة فى ٣ أكتوبر ١٩٧٨] .

فمـا هى الصهيونيـة التى أدينها وأفضحهـا علنا فى كتـابى «وليست

الديانة اليهودية»؟ .

وهى غالبا ما عرَّفت نفسها بنفسها :

١ ـ إنها عقيـدة سياسية «منذ ١٨٩٦ ، ارتبطت الصهيونية بـالحركة السياسية التى أسسها تيودور هرتزل » .

[المصدر : مـوسوعـة الصهيونيـة وإسرائيل . دار هـرتزل، نيـويورك ١٩٧١ ، المجلد الثانى، الصفحة ١٢٦٢] .

٢ـ إنها عقيدة قومية لم تولد من اليهودية بل من القومية الأوروبية فى القرن التاسع عشر . ولم ينتسب مؤسس الصهيونية، هرتزل، إلى الدين «إننى لا أنقاد لأى دافع دينى» .

[المصدر : تيودور هرتزل : اليوميات ، طبعة فيكتور جولانسز ، ١٩٥٨] .

«فأنا لا غنوصى (أى أنه من اللادرية)» [ص ٥٤٠] .

فهو لا تهمـه الأرض المقدسـة بوجـه خاص : فهو يقبـل أيضا ومن أجل أهدافـه القومية، بأوغندا أو طـرابلس أو قبرص أو الأرجنتين، أو موزمبيق، أو الكونغو. **[المصدر: هرتزل، اليوميات، المرجع السابق] .**

ولكن أمام معـارضة أصدقـائه من أصحاب الديـانة اليهوديـة، فإنه يعى أهمية الأسطـورة القوية، كمـا يقول **[اليـوميات ، المجلـد الأول، ص ٥٦٠]**التى «تؤلف صيحة للمّ الشعث ذات قوة لا تقهر» .

[المصدر : هرتزل، الدولة اليهودية، ص ٤٥٠].

إن هذا شعار تعبوى لا تستطيع أى سياسة واقعية أن تتجاهله. وهو ماصرح به عندما حوّل أسطورة العودة القوية إلى حقيقة تاريخية: «إن فلسطين هي وطننا التاريخى الذى لا ينسى.. وإن هذا الاسم وحده سيظل صيحة لمّ الشمل القوية لشعبنا».

[المصدر: هرتزل: الدولة اليهودية، ص ٢٠٩].

« إن المسألة اليهودية ليست بالنسبة لى مسألة اجتماعية ولا مسألة دينية.. إنها مسألة قومية ».

٣ ـ إنها عقيدة استعمارية. وهنا أيضا لا يخفى تيودور هرتزل الواعى أهدافه: فكخطوة أولى، تحقيق « شركة ذات امتيازات »، تحت حماية إنجلترا أو أى قوة أخرى، في انتظار تحويلها إلى دولة يهودية.

ولذا فإنه توجه نحو من اتضحت مهارته في هذا النوع من العمليات: المتاجر الاستعمارى سيسيل رودس، الذى استطاع انطلاقا من شركة ذات الامتيازات تحويلها إلى دولة جنوب إفريقيا، التى كانت إحدى عناصرها تسمى باسمه: روديسيا.

فقد كتب إليه تيودور هرتزل في ١١ يناير ١٩٠٢ ما يلى:

« أرجوك أن ترسل إلىّ نصا يقول إنك قد فحصت برنامجى وأنك توافق عليه. وقد تتساءل لماذا أكتب إليك يا سيد رودس. ذلك أن برنامجى هو برنامج استعمارى ».

[المصدر: هرتزل، اليوميات، الجزء الثالث، ص ١٠٥].

عقيدة سياسية وقومية واستعمارية، تلك هى الخصائص الثلاث التى تشرح السياسة الصهيونية التى انتصرت في مؤتمر بازل فى أغسطس ١٨٩٧، والتى انتصر بها تيودور هرتزل مؤسسها العبقرى والميكيافيلى، واستطاع أن يقول وعن حق، في نهاية هذا المؤتمر: «لقد أسست الدولة اليهودية» [المصدر : اليوميات، ص ٢٢٤].

وبالفعل وبعد مضى نصف قرن، كانت هذه هي السياسة التى سيطبقها بالضبط تلامذته بإنشاء دولة إسرائيل طبقا لأساليبه وتبعا لخطه السياسى (وذلك في أعقاب الحرب العالمية الثانية).

ولكن هذه العملية السياسية والقومية والاستعمارية، لم تكن بأى حال من الأحوال امتداد للديانة والروحانية اليهودية.

ففى نفس وقت انعقاد مؤتمر بازل الذى لم ينعقد في ميونخ (كما كان يتوقعه هرتزل) بسبب معارضة الجالية اليهودية الألمانية، انعقد مؤتمر مونتريال في أمريكا (١٨٩٧) حيث تم التصويت وباقتراح من الحاخام إسحاق مايرويز، الشخصية اليهودية التى كانت تمثل اليهود هناك في ذلك الوقت، على قرار تعارضت فيه تعارضا جذريا قراءتان للتوراة، وهما القراءة السياسية والقبلية للصهيونية والقراءة الروحانية والكونية للأنبياء.

«إننا نشجب تماما أى مبادرة تهدف إلى إنشاء دولة يهودية. وإن أى محاولات من هذا القبيل تكشف عن مفهوم خاطىء لرسالة إسرائيل..

التى كان الأنبياء اليهود هم أول من نادى بها . . ونؤكد أن هدف اليهودية ليس بهدف سياسى ولا قومى، ولكن روحى . . فهو يشير إلى عصر مسيحى حيث يعترف كل الناس بأنهم ينتمون إلى طائفة واحدة كبرى لإنشاء مملكة الرب على الأرض» .

[المصدر : المؤتمر المركزى للحاخامات الأمريكيين، الكتاب السنوى السابع، ١٨٩٧ ، صفحة ١٢].

وهكذا كان رد الفعل الأول للمنظمات اليهودية ابتداء من « رابطة حاخامات ألمانيا »، وحتى « الاتحاد الإسرائيلى العالمى لفرنسا » ، «والاتحاد الإسرائيلى » في النمسا ، وكذلك الرابطات اليهودية في لندن .

وهذه المعارضة حيال الصهيونية السياسية ، المستوحاة من التمسك بروحانية الديانة اليهودية ، ما فتئت تعبر عن نفسها حتى في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، عندما استغلت الصهيونية الإسرائيلية مرة أخرى ، المخاصمات والمشاحنات التى دارت بين الدول في الأمم المتحدة ، ولا سيما التأييد غير المشروط من الولايات المتحدة ، لكى تفوض نفسها كقوة مهيمنة ، وتمكنت بفضل مختلف أنواع اللوبى ، من عكس الاتجاه وإنجاح سياسة القوة الإسرائيلية الصهيونية ، على عكس ما كان متوقعا . ولكنها مع ذلك لم تفلح في تكميم نقد كبار الروحانيين .

ولم يتوقف مارتن بوبر، أحد الأصوات اليهودية الكبرى في هذا

القرن، طوال حياته، وحتى وفاته في إسرائيل، عن شجب انحلال الصهيونية الدينية وارتكاسها إلى صهيونية سياسية.

فقد أعلن مارتن بوبر في نيويورك: « إن الشعور الذى اعترانى منذ ستين عاما، عندما انضممت إلى الحركة الصهيونية، هو في جوهره نفس الشعور الذي يعتريني اليوم.. لقد كان أملى ألا تتبع هذه القومية طريق الآخرين ـ وأن تبدأ بآمال عريضة لكى لا تتردى بعد ذلك حتى تصبح نزعة أنانية مقدسة، تجاسرت ـ كموسولينى ـ أن تعلن نفسها أنانية مقدسة، كما لو كانت الأنانية الجماعية تستطيع أن تكون أكثر قداسة من الأنانية الفردية.

وعندما عدنا إلى فلسطين، كان السؤال الحاسم هو: أتود أن تحضر إلى هنا كصديق وكأخ، وكعضو في مجتمع شعوب الشرق الأوسط، أو كممثل للاستعمار والإمبريالية؟.

لقد كان التناقض بين الهدف ووسائل بلوغه سببا في انقسام الصهاينة: فالبعض أراد أن يحظى بامتيازات سياسية خاصة من القوى العظمى، والآخرون، ولا سيما الشباب، أرادوا فقط السماح لهم بالعمل في فلسطين مع جيرانهم، من أجل فلسطين ومن أجل المستقبل..

ولكن كل شيء لم يكن يسير على ما يرام في علاقاتنا مع العرب، ومع ذلك فقد كانت هناك عموما الجيرة الحسنة بين قرية يهودية وأخرى عربية.

وهـذه المـرحلة العضـويـة من الاستيطـان في فلسطين دامت حتى عصر هتلر.

وهتلـر الـذى دفع بجمـوع اليهـود إلى الـذهـاب إلى فلسطين، لا بالنُّخَب التى جاءت لمواصلة حيـاتها والإعداد للمستقبل. وهكذا فقد أعقب هذا التطور العضـوى الانتقائى هجرة جماعية ومـا استلزمه ذلك من إيجاد قوة سياسية لسلامها وأمنها . . وقد فضلت غـالبية اليهود أن يتعلموا من هتلـر بدلاً من أن يتعلموا منـا . . ولقد برهن هتلـر أن مسار التاريخ لا يساير مسار العقل، ولكن مسار القوة، وإنه عندما يكون أى شعب على قدر من القـوة، فإنه يستطيع أن يقتل دون عقـاب . . وهذه هى الحالة التى كـان علينا أن نحاربها . . . . وفي « إيهـود » اقترحنا ألا يكتفى اليهـود والعرب بـالتعايش ولكن أن يتعـاونوا . . وذلك بمقـدوره إحداث تنميـة اقتصاديـة في الشرق الأوسط، وبفضلـه يستطيع الشرق الأوسط أن يساهم بشكل كبير وجوهرى في مستقبل الإنسانية ».

[المصدر : النشرة اليهودية الصادرة في ٢ يونيه ١٩٥٨].

وفي بيانه الذى ألقاه أمام المؤتمر الصهيوني الثاني عشر المعقود في كارلسباد في ٥ سبتمبر ١٩٢١، قال: إننا نتكلم عن روح إسرائيل، كما إننا نؤمن بأننا لا نشبه الشعوب الأخرى . . .

ولكن إذا مـا كـانت روح إسـرائيـل ليست شيئًـا آخـر سـوى تخليق هويتنـا القومية، وتبريـر جميل لأنانيتنا الجماعيـة . . التى تحولت إلى صنم معبـود، بـرفضنـا قبـول إلـه آخـر سـوى رب السمـوات، نكـون

كـالشعوب الأخرى، ونشـرب معهم من الكأس التى تسكـرهم فالأمـة ليست هى القيمة العليا. . فاليهود أكثر من أن يكونوا أمة: إنهم أعضاء في جماعة مؤمنة.

« لقد اقتلعت الديانة اليهودية من جذورها، وهذا هو جوهر المرض الذى كانت أعراضه هى ولادة القومية اليهودية في منتصف القرن التاسع عشر. وهـذا الشكل الجديد للرغبـة في الأرض هى الخلفية التى آذنت بما استعارته اليهودية القومية الحديثة من القومية الحديثة في الغرب. .

وما هو دور فكرة « اختيار إسرائيل في كل ذلك؟ » فالاختيار لا يعنى شعورا بالسمو، ولكنه يشير إلى معنى المصير. وهذا الشعور لا يولد من مقارنة مع الآخرين، ولكن من رسالـة ومن منطلق مسئولية إنجاز مهمة لم يفتأ الأنبياء يذكِّرون بها: إنكم إذا ما تفاخرتم بأنكم مختارون بدلا من أن تعيشوا في طاعة الله، فإن هذا ضرب من الغدر والخيانة ».

وختم حديثه بذكر تلك « الأزمة القـومية » للصهيونية السياسية التى تعتبر تحريفا لروحانية الديانة اليهودية، قائلا:

« كنا نأمل في أن ننقـذ القومية اليهوديـة من خطأ تحويل شعب إلى صنم معبود. ولكننا قد أخفقنا ».

[المصـدر: مـارتن بـوبـر، إسرائيل والعـالم. نيـويـورك، ١٩٤٨، الصفحة ٢٦٣].

وقد اعتبـر الأستاذ جـوداس ماجنيس، رئيس الجـامعة العبـرية فى

القدس منذ ١٩٢٦ ، أن « برنامج بلتيمور » لعام ١٩٤٢ ، الذى قضى بإنشاء دولة يهودية في فلسطين « سيؤدى إلى حرب ضد العرب » .

[المصدر: نورمان بتويش، من أجل صهيون. سيرة جوداس ماجنيس ، فيلادلفيا، منشورات الجمعية اليهودية في أمريكا، ١٩٥٤ ، الصفحة ٣٥٢].

« وعند إلقائه لبيانه عند افتتاح هذه الجامعة العبرية في عام ١٩٤٦ والتى رأسها منذ ٢٠ سنة ، قال: إن الصوت اليهودي الجديد يتكلم عبر فوهات البنادق . . . وهذه هى التوراة الجديدة لأرض إسرائيل . لقد تكبل العالم بقيود جنون القوة المادية . وليحفظنا الرب الآن من اقتياد اليهودية وشعب إسرائيل إلى هذا الجنون . إنها يهودية ملحدة تلك التى طعنت على جزء كبير من الشتات القوى . وكنا نعتقد زمن الصهيونية الرومانتيكية ، أن صهيون ينبغى افتداؤه بالاستقامة والنزاهة . ويتحمل جميع يهود أمريكا مسئولية هذه الغلطة ، وهذا التحول . . حتى من لم يوافقوا على تصرفات الإدارة الملحدة ، ولكنهم ظلوا قاعدين مكتوفى الأيدى . إن تخدير المعنى الأخلاقى يؤدى إلى الضمور والهزال » .

[المصدر : المرجع السابق ، ص ١٣١].

والواقع أنه منذ إعلان بلتيمور، كان القادة الصهاينة في أمريكا قد حصلوا على أكبر حامٍ لهم : الولايات المتحدة . وقضت المنظمة الصهيونية العالمية على معارضة اليهود الأمناء على التقاليد الروحية لأنبياء إسرائيل ، وطالبت بإنشاء ليس فحسب « وطن قومى يهودى فى

فلسطين »، طبقا لنصوص (بل ولـروح) إعـلان بلفور، ولكن بإنشـاء دولة يهودية في فلسطين .

وقد سبق لألبرت أينشتاين أن أدان في عام ١٩٣٨ هذا التوجـه :

« في رأيي فإنه من المعقول أكثر التـوصل إلى اتفاق مع العرب على أسـاس حياة مشتـركـة ومسـالمة ، بـدلا من إنشـاء دولـة يهوديـة . وإن إحساسي الذاتي بالطبيعة الجوهرية لليهودية يصطدم بفكرة دولة يهودية لهـا حدودهـا ، وجيشهـا ومشـروعها للسلطـة الـدنيـوية مهمـا كـانت متواضعـة . وأخشى من الخسـائر الداخليـة التي قد تتكبـدها اليهـودية بسبب قيـام قـوميـة ضيقـة في صفـوفنا . . وإننـا لم نعـد يهـود عصـر المكابي . ومجرد أن نصبـح أمة بالمعنى السياسي للكلمـة يساوي أننا سنحود عن روحانية طائفتنا التي ندين بها لأنبيائنا » .

[المصـدر: الحاخـام موشي مينـوهن: انحلال اليهـودية في زمننـا، ١٩٦٩ ، صفحة ٣٢٤] .

ولم تنقصنا وسائل التذكير كلما انتهكت إسرائيل القانون الدولي .

وسنكتفي هنا بذكر مثـالين اثنين على ذلك، حيث قيل بصوت عال ما يراه ملايين اليهود ولكن دون أن يتمكنوا من الإفصاح عنه علانية خوفا من محاكـم التفتيش الفكـرية للوبي الإسرائيلي ـ الصهيـوني : ففي عام ١٩٦٠ ، وأثناء محاكمة إيخمان في القدس ، أعلن المجلس الأمريكي لليهودية :

« وجه المجلس الأمريكى لليهودية أمس الإثنين خطابا إلى السيد كريستين هرتر ينكر فيه حق الحكومة الإسرائيلية في التحدث باسم اليهود كافة .

ويعلن المجلس أن اليهودية هى مسألة دين وليست مسألة جنسية» .

[المصدر: جريدة لموند، ٢١ يونيه ١٩٦٠] .

وفي ٨ يونيه ١٩٨٢ ، كتب الأستاذ بنيامين كوهين ، من جامعة تل أبيب ، وأثناء غزو الإسرائيليين الدامى للبنان ، إلى الأستاذ بيرفيدال ناكيه[١]:

« أكتب إليك وأنا استمع إلى راديو الترانزيستور الذى أعلن « أننا » في سبيل تحقيق هدفنا في لبنان : وهو ضمان السلام لأهالى الجليل . وهذه الأكاذيب الجديرة بشخص كجوبلز، تجعلنى كالمجنون . ومن الواضح أن هذه الحرب الشرسة والضارية ، وهى حرب أكثر بربرية من كل سابقاتها ، لا علاقة لها بأى شىء ، لا بحادث الاغتيال الذى وقع في لندن ، ولا بأمن الجليل . . ولا اليهود ، أبناء إبراهيم . . هؤلاء اليهود الذين هم ضحايا أنفسهم من جراء هذا الكم الضخم من الضراوة والوحشية ، هل يمكن أن يصبحوا على هذا القدر من الفظاظة والقساوة؟ إن أكبر نجاح للصهيونية هو « عدول اليهود عن

(١) وهو أستاذ فرنسى يهودى مشهور، يدرس التاريخ في جامعة السربون .

اليهودية» . . .

وأرجوكم أيها الأصـدقاء أن تقوموا بكل مـا فى وسعكم لكى لا يحرز أتباع بيجين وشارون هدفهم وهو التصفية النهائية (وهى العبارة السائدة في أيامنا هذه) للفلسطينيين كشعب والإسرائيليين كبشر » .

[المصدر : خطاب منشور في جريدة « لموند » بتاريخ ١٩ يونيه ١٩٨٢ ، ص ـ٩] .

« الأستاذ ليبوفيتس يدمغ السياسة الإسرائيلية في لبنان ويصفها بأنها يهودية ـ نازية » .

[المصدر: ايعدوت احرونوت، ٢ يوليه ١٩٨٢ ، ص ـ ٦] .

وهذا هـو رهان المعركة بين الـديانة اليهـودية التوراتية وبين القـومية الصهيونية ، التى تقوم مثلهـا في ذلك مثل أى قومية ، على رفض الآخر وتقديس الذات .

فكل قـوميــة في حـاجـة إلـى تقـديس ادعـاءاتهــا : فبعـد تفكك المسيحية ، ادعت كل دولـة ـ أمـة أنها قد تلقت الإرث المقـدس وأنها حازت على الولاية من الرب :

ففرنسـا هى « البنت البكر للكنيسـة » ، والتى بها تتم أفعـال الرب . وألمـانيـا هى « فوق الجميـع » لأن الله معها . وأعلنت إيفـا بيـرون « أن رسالـة الأرجنتين هى تقديم الله إلى العـالـم » ، وفى عام ١٩٧٢ ، تكهن

بدوره رئيس وزراء جنوب إفريقيا، فورستر المشهور بعنصريته الوحشية المتمثلة في الفصل العنصرى، وأخذ يهذو بعبارات مثل « لا تنسوا أننا شعب الله، بعثنا برسالة» . . . وتشاطر القومية الصهيونية هذه النشوة مع كل القوميات .

وحتى الأذكياء والمستنيرين غمرتهم هذه النشوة .

فرجل مثل الأستاذ أندريه نهير، وفي كتابه الرائع : جوهر النبوءة (دار كلمان ليفى، ١٩٨٢، ص ـ ٣١١) ، وبعد أن أثار بشكل جيد المعنى الكونى للتحالف : تحالف الرب مع الإنسان، أفضى به الحال إلى القول : إن إسرائيل هى وبامتياز « علامة التاريخ الإلهى في العالم . فإسرائيل هى محور العالم، وهى العصب والمركز والقلب » . [ص ـ ٣١١] .

ومثل هذه العبارات توحى وبشكل فاضح، « بالأسطورة الآرية » التى أسست أيديولوجيتها الجرمانوية والهتلرية . وعلى هذا الطريق، فإننا نقف على نقيض تعاليم الأنبياء وعبارة أنا وأنت الرائعة لمارتن بوبر.

والاستبداد بالرأى يلغى الحوار ويحول دونه : فلا يمكن التحاور مع هتلر ولا مع بيجين، لأن سموهم الجنسى أو تحالفهم القصرى مع الإله، لا يترك أى مجال للآخر.

ولأننا نعى أنه في عصرنا هذا لا بديل عن الحوار أو الحرب، وأن

الحوار يقتضى، وهو ما لا نملُّ من ترديده، أن يعى كل إنسان منذ البداية ما ينقصه من إيمان، وأنه في حاجةٍ إلى الآخر لسد هذا الفراغ لديه، وهو شرط كل تفوق على الذات، وكل رغبة في الكمال (وهو روح كل إيمان حيٍّ).

فإن مختاراتنا هذه عن الجريمة الصهيونية يسير في امتداد جهود هؤلاء اليهود الذين حاولوا الدفاع عن اليهودية التوراتية ومناصرتها ضد الصهيونية القبلية.

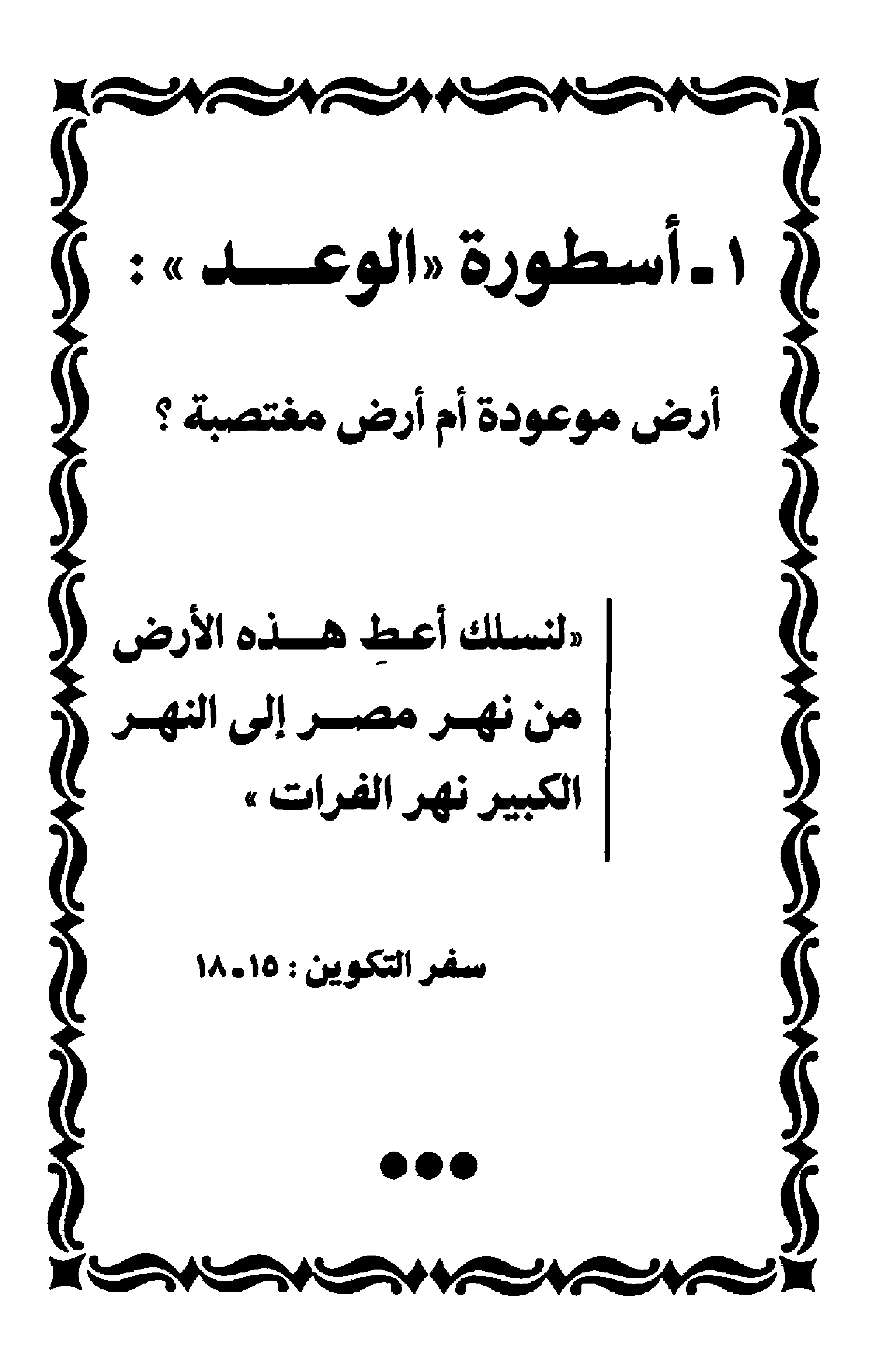
وما يغذى معاداة الصهيونية ليس نقد سياسة العدوان والإفك والدم التى تمارسها الصهيونية الإسرائيلية بل التأييد غير المشروط لهذه السياسة التى أضحت لا تحتفظ من التقاليد العظيمة لليهودية سوى ما يبرر هذه السياسة عن طريق التفسير الحرفى، وما يضعها فوق كل قانون دولى بإضفاء القداسة عليها بواسطة أساطير الغد واليوم.

●●●



أولا

الأساطير اللاهوتيـــــة



١ ـ أسطورة «الوعـــد» :

أرض موعودة أم أرض مغتصبة ؟

«لنسلك أعطِ هــذه الأرض
من نهـر مصـر إلى النهـر
الكبير نهر الفرات»

سفر التكوين : ١٥ ـ ١٨

•••

القراءة المتطرفة للصهيونية السياسية :

«إذا كنا نملك التوراة، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة، فمن الواجب علينا أن نمتلك جميع الأراضى التوراتية».

الجنرال موشى ديان، جيروزاليم بوست، ١٠ أغسطس ١٩٦٧ .

● فى ٢٥ فبراير ١٩٩٤، قتل الدكتور باروخ جولدشتين العرب وهم يصلون فى الحرم الإبراهيمى .

● وفى ٤ نوفمبر ١٩٩٥، اغتال إيجال عامير إسحاق رابين «بأمر من الرب» ومن جماعته المسلحة، التى تنادى بإعدام كل من يفرط فى الأرض الموعودة «ليهودا وسامرا» (الضفة الغربية حاليا) ويسلمها للعرب .

أ) فى التفسير المسيحى :

يوجز البيردى بورى، أستاذ العهد القديم فى كلية اللاهوت البروتستانتية في جنيف، رسالته للدكتوراه «الوعد الإلهى والخرافة الشعائرية فى أدبيات يعقوب»، التى ناقش فيها كبار المؤرخين والمفسرين المحدثين وخاصة البرخت آلت ومارتن نوت، على النحو التالى :

«إن الموضوع التوراتى لهبة البلاد يستمد أصوله من «الوعد الأول» أى الوعد الإلهى لإبراهيم بحسب المأثور فى سفر التكوين. فأقاويل سفر التكوين تنقل لنا فى مرات عديدة وبأشكال مختلفة : إن الله وعد

الآباء وذرايتهم بملكيـة الأرض التى كانوا فى سبيلهم إلى التـوطن فيها . وهذا الوعد يبدو أنه ينطبق قبل كل شىء على المناطق الواقعة حاليا فى الضفة الغربية .

ويعرض القصاصون التوراتيون علينـا تاريخ أصول إسرائيل كسلسلة من العصـور المحددة تحـديدا دقيقـا . فهم يـدخلون كل الـذكريـات والتواريخ والخـرافات والحكـايات والأشعار التـى وصلتهم والتى نقلها لنـا التراث الشفهى ، ضمن إطـار محـدد للأنسـاب والتأريخ . ويتفق معظم المفسرين المحـدثين على أن هذه الصورة التاريخيـة ما هى إلا صورة وهمية إلى حد كبير .

وقد برهنت أعمال البرخت آلـت ومارتن نوت وعلى وجه الخصوص أن التقسيم إلى عصور متواليـة (الآباء ـ السخرة فى مصر ــ غزو كنعان) هو تقسيم اصطناعى .

وفى معرض إيجازها لأعمال التفسير المعـاصرة وفقا لمقولة البيردى بـورى ، كتبت السيـدة فـرنسـواز سميـت ، عميـدة كليـة الـلاهـوت البروتسانتية فى باريس تقول :

«إن البحـوث التـاريخيـة الأخيـرة تـوصلت إلـى تقليص العـروض الكـلاسيكيـة للخـروج من مصـر ، وغـزو كنعان ، والـوحـدة القـوميـة الإسرائيلية قبل المنفى ، وصورتها على أنها قصة خرافية ، فعلم التاريخ التوراتى لا يخبرنا بما يقصه علينا بل يخبرنا عمن كتبوه» .

[المصدر: فرنسـواز سميت : البروتستانت والتوراة وإسـرائيل منذ عام ١٩٤٨ ـ

مجلة لالتر، نوفمبر ١٩٨٤، رقم ٣١٣، ص ٢٣] .

لقد قدمت السيدة فرانسواز سميت ـ فلورانتان توضيحا صارما لأسطورة الوعد فى كتابها: «الأساطير غير الشرعية، دراسة حول الأرض الموعودة» لابور وفيديس، جنيف، ١٩٩٤ .

ويستطرد البيردى بورى قائلا: إن معظم المفسرين قد أخذوا الوعد المعطى للآباء بمعناه الكلاسيكى على أنه إضفاء للشرعية ـ بعد الأحداث ـ على الغزو الإسرائيلى لفلسطين، أو على أنه امتداد للسيادة الإسرائيلية فى عهد داود. بعبارة أخرى، فقد أدخل الوعد ضمن أحاديث الآباء بغية اتخاذ هذه الملحمة السلفية كتمهيد وكإعلان عن العصر الذهبى الداودى والسليمانى .

ونستطيع الآن أن نحصر بإيجاز أصول الوعد المعطى للآباء :

١ ـ الوعد بالأرض، بمعنى الوعد بالاستقرار، وقد وجه أولا إلى قبائل البدو الرحل التى كانت تطمح إلى الاستقرار فى مكان ما بالمناطق الصالحة للسكنى. وبمقتضى هذا، فإن الوعد كان جزءا من الإرث الدينى والروائى لعدة قبائل بدوية متباينة .

٢ ـ أما وعد الرُّحَّل فقد كان الغرض منه ليس الغزو السياسى أو العسكرى لمنطقة أو لبلد بأكمله، بل الاستقرار فى منطقة محدودة .

٣ ـ وفى الأصل، فإن الوعد المعطى للآباء والذى تحدث عنه سفر التكوين، لم يقطعه يهوى (الرب الذى دخل فلسطين مع مجموعة

الخروج)، ولكن الرب الكنعانى ايل فى إحدى أقانيمه المحلية . والرب المحلى، مالك الأرض، هو وحده الذى يستطيع أن يمنح للرُّحَّل حق الاستقرار فى أراضيه .

٤ ـ وبعد ذلك، وعندما تجمَّعت القبائل الرُّحَّل التى استقرت مع قبائل أخرى لتشكيل «شعب إسرائيل»، فإن الوعود القديمة كانت بمثابة أهداف قد تحققت، ومن ثم بدأ الوعد يتخذ أبعادا سياسية وعسكرية «وقومية». وعلى ذلك فإن الوعد بعد إعادة تفسيره على هذا النحو، فُهِمَ على أنه التجسيد المسبق للغزو النهائى لفلسطين، وكإعلان وإضفاء للشرعية على مملكة داود.

مضمون وعد الآباء :

«بينما يرجع وعد «الرُّحَّل»، الذى يهدف إلى توطين عشيرة موحدة، إلى أصل يسبق الحوادث دون شك، فإن الأمر يختلف بالنسبة للوعد الموسع ذى الأبعاد «القومية». ونظرا لأن القبائل الإسرائيلية لم تتوحد إلا بعد استيطانها فى فلسطين، فإن إعادة تفسير وعد الرحل ليصبح وعدا بالسيادة السياسية، قد تمت بعد الأحداث. وعلى ذلك، فإن وعد سفر التكوين ١٥ ـ ١٨/ ٢١، الذى يتوخى سيادة الشعب المختار على جميع المناطق الواقعة «بين نهر مصر (= وادى العريش) والنهر الكبير نهر الفرات» وعلى جميع الشعوب التى تقطن هناك، هو بجلاء نبوءة ما قبل الأحداث مستوحاة من غزوات داود.

وقد أتاحت البحوث التفسيرية التأكيد على أن توسيع وعد الرحل

وجعله وعدا «قوميا» قد حدث قبل تحرير أقاويل الأوائل خطيا .

ولقد عاش القصاص يهويا ، الذى يعتبر أول قصاص كبير (أو بالأحرى : محرر الأحاديث) للعهد القديم ، فى عصر سليمان . ومن ثم فقد كان معاصرا وشاهدا على هذه العقود التى تحقق فيها وعد الآباء ، الذى أعيد تفسيره فى ضوء داود ، بما يفوق كل الآمال .

ونص سفر التكوين ١٢ ـ ٣ ب ، هو نص من تلك النصوص الأساسية لفهم أعمال يهويا . ووفقا لهذا النص ، فإن بركة إسرائيل قد رافقتها بركة جميع «قبائل الأرض» . وقبائل الأرض هم أولا كل الشعوب التى كانت تتقاسم مع إسرائيل فلسطين والضفة الغربية .

وهكذا فإننا لسنا فى حِل من التأكيد على أنه فى فترة ما من فترات التاريخ ، ظهر الرب أمام شخصية تاريخية تسمى إبراهيم وإنه قد منحه الصكوك الشرعية لإمتلاك أرض كنعان . ومن الناحية القانونية ، فإننا لا نملك أى صك للهبة موقّعة من «الله» ، بل ولدينا من الأسباب القوية ما يجعلنا نفكر فى أن المنظر الوارد فى سفر التكوين ١٢ ـ ١/ ٨ ؛ ١٣ ـ ١٤/ ١٨ ، على سبيل المثال ، لا يعكس حادثة تاريخية ..

فهل من الممكن ، والحال هذه ، تفعيل وعد الآباء؟ فإذا كان معنى تفعيل الوعد هو استخدامه كصك من صكوك الملكية أو لوضعه فى خدمة المطالبات السياسية ، فهو قطعا ليس كذلك .

فليس هناك أى سياسة لها حق ادعاء كفالة الوعد وضمانه .

ولا نتفق بأى شكل من الأشكال مع أى من المسيحيين الذين يعتبرون وعود العهد القديم بمثابة إفضاء للشرعية على المطالبة بالأراضى الحالية لدولة إسرائيل» .

[المصدر: اقتطفت كل هذه النصوص من المحاضرة التى ألقيت فى ١٠ فبراير ١٩٧٥ فى كريت ـ بيرارد (سويسرا) والتى نشرت فى مجلة الدراسات اللاهوتية والدينية، العدد ٣، ١٩٧٦ (مونبلييه)] .

ب) فى التفسير اليهودى للنبوءات :

(محاضرة الحاخام ألمر برجر، الرئيس السابق لرابطة «من أجل اليهودية» فى الولايات المتحدة) .

إنه من غير المقبول من أى إنسان الادعاء بأن إنشاء دولة إسرائيل حاليا هو تحقيق لنبوءة توراتية، ومن ثم فإن كل الأفعال التى قام بها الإسرائيليون لقيام دولتهم والإبقاء عليها هو تنفيذ لإرادة الرب .

إن السياسة الحالية لإسرائيل قد حطمت أو على الأقل قد طمست المعنى الروحانى لإسرائيل .

وأقترح أن نبحث عنصرين أساسيين لإرث النبوءات .

أ ـ أولا، فإنه عندما تحدث الأنبياء عن استعادة صهيون، فهذا لا يعنى الأرض التى كان لها فى حد ذاتها صفة القداسة .

فالمحك المطلق الذى لا يقبل النقاش بشأن مفهوم نبوءة الخلاص، هو استعادة العلاقة بالرب، فى وقت كانت فيه هذه العلاقة

قد قطعت من جانب الملك وشعبه .

وقد قال ميشا ذلك بكل وضوح ، «استمعوا إذن يا رؤساء بيت يعقوب ، وقادة بيت إسرائيل ، يامن تكرهون الخير وتحبون الشر ، . . . يا من تبنون صهيون وسط حمَّامات من الدم والقدس بجرائمكم . . . . إن صهيون سَيُحرث كالحقل ، وستصبح القدس (أورشاليم) كومة من الأطلال ، وسيصبح جبل المعبد مكانا لعبادة الأصنام» .

المصدر: ميشا الثالث ، ١ ـ ١٢ .

لن يكون صهيون مقدسا ، إلا إذا سادت شريعة الله . وهذا لا يعنى أن كل الشريعة التى استننت للقدس هى شريعة مقدسة .

ب ـ وليست الأرض وحدها هى التى تتوقف عليها مراعاة العلاقة مع الرب والإخلاص لها : فإن الشعب الذى أعيد توطينه فى صهيون يخضع لنفس مقتضيات العدالة والاستقامة والإخلاص التى للعلاقة مع الرب .

ولا يمكن لصهيون أن ينتظر إعادة شعب يعتمد على المعاهدات والتحالفات وعلاقات القوة العسكرية ، أو على هيراركية حربية تحاول أن تفرض تفوقها على جيران إسرائيل .

. . . وتوضح تقاليد النبوءات بجلاء أن قداسة الأرض لا تتوقف على تُربتها ، ولا على شعبها ، ولا على الوجود الوحيد لهذا الشعب على هذه الأرض .

والأمر الوحيد المقدس والجدير بصهيون، هو التحالف الإلهى الذى تعبِّر عنه مواقف شعبه.

ومع ذلك فإن دولة إسرائيل الحالية ليس لها أى حق فى ادعاء تحقيق النية الإلهية من أجل عصر مسيحى...

فهذه هى محض غوغائية التربة والدم.

فلا الشعب بمقدس ولا الأرض بمقدسة وهما ليسا جديرين بأى امتيازات روحية فى العالم.

إن النزعة الشمولية الصهيونية التى تسعى إلى إخضاع كل الشعب اليهودى، حتى ولو بالعنف والقوة، تجعل من هذا الشعب شعبا من بين الشعوب الأخرى وشبيه بها».

[المصدر: الحاخام ألمر برجر: «النبوءة والصهيونية ودولة إسرائيل»، محاضرة ألقيت فى جامعة ليدن (هولندا) فى ٢٠ مارس ١٩٦٨].

●●●

ولم يكن إيجال عامير، قاتل إسحاق رابين، بعربيد أو بمجنون، ولكنه النتاج الخالص للتربية الصهيونية.

فهو ابن حاخام، وطالب ممتاز فى الجامعة الإكليركية بأرعيلان بالقرب من تل أبيب، وتشبع بتعاليم المدارس التلمودية، وجندى من جنود الصفوة فى الجولان، ويحتفظ فى مكتبته بسيرة باروخ جولدشتين (الذى اغتال منذ عدة شهور فى الخليل، ٢٧ من العرب وهم

يصلون) . وهو لاشك قد شاهد فى التليفزيون الرسمى الإسرائيلى ، العرض الكبير الخاص بجماعة «إيال» (محاربو إسرائيل) وهم يحلفون على قبر مؤسس الصهيونية السياسية ، تيودور هرتزل بأن «يعدموا أى شخص يفرط للعرب فى أرض الميعاد» فى يهودا وسامرا (الضفة الغربية حاليا) .

ويندرج اغتيال الرئيس رابين (والاغتيالات التى اقترفها جولدشتين) ضمن المنطق الضيق لميثولوجية المتطرفين الصهيونيين ، وكما يقول عامير: «إن الأمر بالقتل جاءه من الرب» ، كما كان يحدث فى عهد يشوع .

[المصدر: لموند ، ٨ نوفمبر ١٩٩٥] .

وهو لم يكن على هامش المجتمع الإسرائيلى : فإن المستوطنين فى قرية إربا وحبرون (الجليل) كانوا يرقصون فرحا يوم اغتيال رابين وهم يرددون مزامير داود حول الضريح المقام على شرف باروخ جولدشتين .

[المصدر: جريدة أليس (أسبانيا) الصادرة فى ٧ نوفمبر ١٩٩٥ ، ص ـ ٤] .

لقد كان إسحاق رابين هدفا رمزيا ، وليس كما ادعى بيل كلنتون عند تشييع جنازته ، من أنه «قد حارب طوال حياته من أجل السلام» (وهو الذى قاد جيوش الاحتلال فى بداية الانتفاضة وأعطى الأوامر بكسر عظام أيدى أطفال الأراضى الفلسطينية الذين لم يكن يملكون شيئا آخر سوى الأحجار للدفاع عن أرض أجدادهم) .

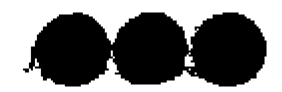
ولكن إسحاق رابين، وبكثير من الواقعية، قد فهم (كما حدث للأمريكيين فى فيتنام والفرنسيين فى الجزائر) أن أى حل عسكرى نهائى غير ممكن إذا ما اصطدم الجيش، ليس بجيش آخر، ولكن بشعب بأكمله.

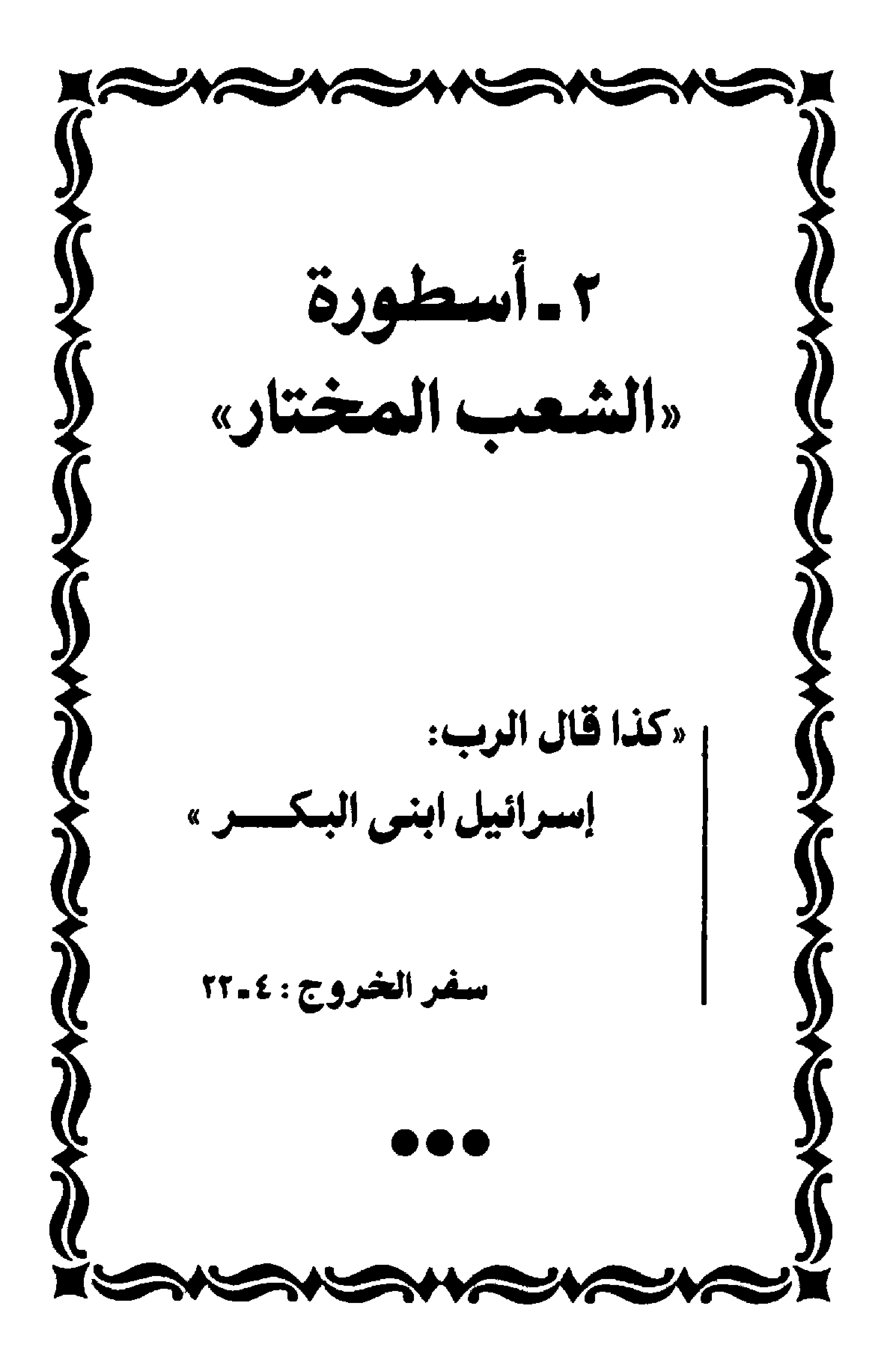
ومن ثم فإنه سار مع ياسر عرفات على طريق الحل الوسط: استقلال ذاتى إدارى لجزء من الأراضى التى شجبت قرارات الأمم المتحدة احتلالها، مع الإبقاء على الحماية العسكرية الإسرائيلية على «المستوطنات» المسروقة من الأهالى الأصليين والتى أصبحت كالخليل معاقل للتعصب والحقد.

ولقد كان هذا كثيرا بالنسبة لهؤلاء المتطرفين الذين كانوا يهتفون ضد رابين ودمغوه «بالخائن».

لقد كان رابين ضحية أسطورة «أرض الميعاد» كما حدث لآلاف من الفلسطينيين، وهى ذريعة ألفية للاستعمار الدموى.

ويدل هذا الاغتيال المتعصب مرة أخرى على أن السلام الحقيقى بين دولة إسرائيل تعيش فى سلام داخل الحدود التى رسمها التقسيم فى عام ١٩٤٧، وبين دولة فلسطينية مستقلة استقلالا تاما، يستلزم تصفية المستوطنات التى تشكل داخل الدولة الفلسطينية المقبلة، مصدرا للإثارة وقنابل موقوتة لحروب جديدة.





٢ ـ أسطورة «الشعب المختار»

«كذا قال الرب:

إسرائيل ابنى البكـــر »

سفر الخروج : ٤ ـ ٢٢

●●●

القراءة المتطرفة للصهيونية السياسية :

● «يمكن توزيع سكان العالم بين إسرائيل وبين الشعوب الأخرى برمتها. فإن إسرائيل هو الشعب المختار: وهو ركن أساسى من أركان العقيدة» .

[المصدر: الحاخام كوهين فى كتابه «التلمود»، باريس، ١٩٨٦، ص - ١٤٠].

هذه الأسطورة هى الإيمان دون أى أساس تاريخى، بأن الوحدانية قد ولدت مع العهد القديم. وعلى العكس يتضح من التوراة نفسها أن الاثنين اللذين قاما بكتابتها وهما: يهوى وإيلوهى، لم يكن أى منهما وحدانى: فقد كانا يناديان فقط بتفوق الإله العبرانى على سائر الآلهة، وغيرته عليهم [سفر الخروج ٢٠، ٢ ـ ٥]. ورب مواب: قاموش، معترف به (سفر القضاة ١١، ٢٤ وسفر الملوك الثانى، ٢٧) مثل «الآلهة الأخرى» (سفر صموئيل الأول، ٢٧، ١٩) .

وقد أضافت ترجمة مجمع الكنائس حاشية جاء فيها: «منذ زمن بعيد، كان الاعتقاد سائدا فى إسرائيل بوجود آلهة أجانب وقوتهم». (ص ٦٨٠، حاشية د) .

ولم يحدث إلا بعد المنفى، ولا سيما لدى الأنبياء إن ثبتت الوحدانية، أى الانتقال من صيغ مثل صيغ سفر الخروج: «لا يكن لك آلهة أخرى تجاهى» (الخروج، ٢٠، ٣) إلى صيغ لا تكتفى بفرض الطاعة ليهوى وليس للآلهة الآخرين وهو ما تكرر فى سفر تثنية

الاشتراع : «لا تتبع آلهة أُخر» (السادس، ١٤)، وتنادى : «أنا الرب، لا إلـه غيرى» (اشعيـا، ٤٥، ٢٢). وهذا التأكيـد الذى لا يقبل الجـدل بشأن الوحدانية يرجع تاريخه إلى النصف الثانى من القرن السادس ق. م (بين ٥٥٠ و ٥٣٩).

فالوحـدانية فى واقع الأمر هى ثمرة عملية نضج طـويلة للحضارات الكبرى فى الشرق الأوسط، حضارة ما بين النهرين وحضارة مصر.

واعتبارا من القـرن الثالث عشر قبل الميـلاد، أمر الفرعون أخنـاتون بإزالة كلمة «رب» من جميع المعابد. وقد نقلت أنشودته للشمس حرفيا تقـريبا فى المـزمـار ١٠٤. وكانت الـديـانة البـابليـة فى طريقهـا إلى الـوحـدانية؛ وفى حـديثـه عن الـرب مـردوك، عدد المـؤرخ أولبـريت خطوات هذا التحول : «عندمـا تم الاعتراف بأن الآلهة المختلفة ما هى إلا تجليـات لإله واحـد. . لم يبق سـوى خطوة واحـدة لبلوغ نـوع من الوحدانية».

[المصدر: أولبريت، الأديان فى الشرق الأوسط، ص ـ ١٥٩].

و «الأنشودة البابلية للخلق» (التى يرجع تاريخها إلى القرن الحادى عشر قبل الميلاد) تشهد على هذه «الخطوات الأخيرة» : «إذا كان البشر قد انقسمـوا حول الآلهة، فبـالنسبة لنا، وبكل الأسمـاء التى سميناهـم بها، فإنه هو ربنا».

وقـد بلغ هذا الـدين تلك الـدرجة من السـريـرة حيث تظهر صـورة العادل المتألم :

«أود أن أمدح رب الحكمة . . فإن الإله قد تخلى عنى . . . وكنت أظن إننى فى خدمة الرب، ولكن المقادير الإلهية، فى قاع اليم، فمن يفهمها؟ .

فمن هو إذن، إن لم يكن مردوك، هو رب البعث» .

[المصدر: المرجع السابق، ص ٣٢٩-٣٤١] .

أما صورة أيوب، فهى سابقة عليها بعدة قرون . وثمة صورة مماثلة للعادل المتألم، وهى صورة دانيل (وهى غير ما جاء فى التوراة العبرية) الذى عاقبه الرب وأعاده إلى الأرض، موجودة فى النصوص الأوغاريتية فى رأس شمراء، التى سميت «التوراة الكنعانية» وهى سابقة على توراة العبرانيين لأن حزقيال يستشهد بدانيل بجانب أيوب (حزقيال ١٤، ١٤ و ٢٠) .

وتلك مقولات لا يتفوق معناها الروحى أبدا على الفحص التاريخى .

وتلك على سبيل المثال الحال مع المقولة الرائعة بشأن مقاومة الاضطهاد والتحرر التى وردت فى سفر الخروج . ولا يهم فى شىء إلا يعتبر «عبور بحر البوص بمثابة حدث تاريخى»، كما يقول مرشيا إيلياد [1]، وهو لا يخص كافة العبرانيين، بل بعض المجموعات من الهاربين .

(١) مرشيا إيلياد، «تاريخ العقائد والأفكار الدينية»، الجزء الأول ص ١٩٠ .

ولكن من المهم أن يرتبط الخروج من مصر، وفى هذه الصيغة الفخمة، بالاحتفال بعيد الفصح . .

بعد تفعيله وإدماجه فى التاريخ المقدس ليهوى [٢] .

وابتداء من عام ٦٢١ قبل الميلاد، كان الاحتفال بالخروج يكتسى طابع الشعائر الزراعية الكنعانية لعيد الفصح فى الربيع : عيد بعث أدونيس. ومن ثم أصبح الخروج هو الصك المؤسس لنهضة شعب انتشله ربه من العبودية .

وتوجد التجربة الإلهية لانتشال الإنسان من عبوديته القديمة لدى مختلف الشعوب: فالتيهان الطويل فى القرن الثالث عشر لقبيلة الازتيك «مكسيكا» التى لم تصل بعدما يزيد على القرن من المحن إلى الوادى إلا تحت إمرة ربها الذى فتح أمامها الطريق. وهو ما حدث كذلك بالنسبة للأسفار المُسارية نحو الحرية للقادرية الإفريقية .

وقد ارتبط استقرار القبائل الرُّحَّل أو المتجولة وخاصة فى الشرق الأوسط، بهبة الأرض الموعودة بواسطة إله من الآلهة.

وثمة أساطير حفَّت بمسيرة الإنسان طوال حياته، مثل الطوفان، الذى عاقب به الرب أخطاء الإنسان وأعاد بدء خلقه، فهو موجود فى كل الحضارات منذ جلجاميش وحتى بوبول فوه من قبائل المايا .

وقد ولدت أناشيد مدح الرب فى جميع الأديان، مثل المزامير

---

(٢) المرجع السابق، ص ١٩١

المؤلفة على شرف باشاماما ، آلهة أو إله قبائل الانكا .

فإذا لم يقف التعصب الاثنى حائلا ، فلماذا لا نطرح حول هذه النصوص المقدسة ، التى تعتبر بالنسبة لكل شعب من الشعوب بمثابة «العهد القديم» ، نقاشا لاهوتيا بشأن فترات اكتشاف معنى الحياة ؟

وحينئذ فقط ، فإن رسالة الحياة وأقوال المسيح ، ستبلغ كونيتها الحقيقية : فهى ستتأصل فى جميع التجارب الإلهية المعاشة ، ولن تتقلص أو حتى تختنق بتقاليد آحادية . إن الحياة الخاصة بالمسيح ورؤيته الجديدة تماما لمملكة الرب ، لن تطمس لصالح مخطط تاريخى يبدأ فقط من وعود النصر المضروبة لشعب ما وحتى تحقيق هذه الوعود .

إننا لم نتحدث هنا إلا عن أديان الشرق الأوسط التى نشأت فى أحضانها الوحدانية ، وتشكل داخلها العبرانيون .

وفى حضارات أخرى ، غير غربية ، فإن المسيرة إلى الوحدانية تعتبر أقدم بكثير.

وعلى سبيل المثال فى الهند فى نصوص الفيدا .

«إن الحكماء يسمون الخالق الوحيد بأكثر من اسم» (أنشودة ريج - فيدا الثالثة ، ٧) .

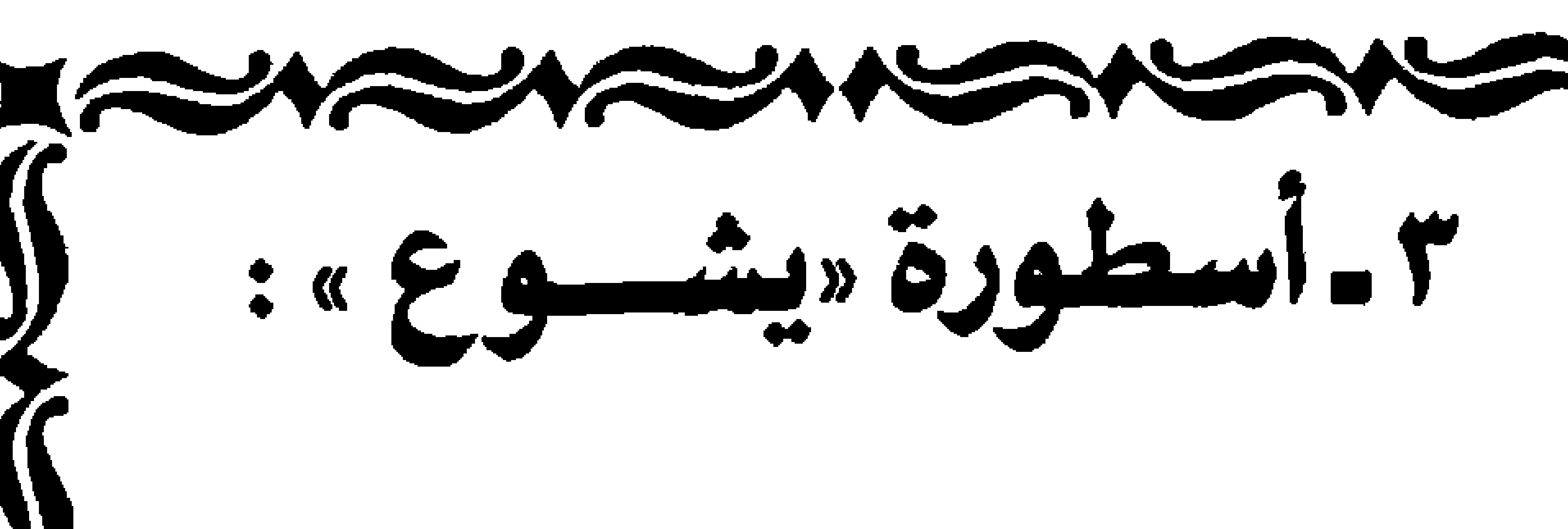
وفريهاسباتى : «إنه أبانا الذى يحتوى كل الآلهة» (الثالث ، ١٨) .

«تعددت أسماؤه ولكنه واحد» .

فهذه النصــوص المقدسة يتراوح تــاريخها بين القرن الســادس عشر والسادس قبــل ميلاد المسيح ، وكــان الأب مونشــانان يسميهــا «أشعار الطقوس المطلقة» .

[المصدر: جول مونشانان : الحياة الروحية فى الهند، وخفايا الدين المسيحى . الصفحات ٢٣١ ـ ٢٣٩] .

●●●



٣ ـ أسطورة «يشـــوع» :

التطهير العرقى

«واجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لاكيش إلى عجلون، ونزلوا عليها وحاربوها وافتتحوها فى ذلك اليوم وضربوها بحد السيف وأبسل كل نفس فيها فى ذلك اليوم عينه كما فعل بلاكيش.. وصعد يشوع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى حبرون .»

سفر يشوع : ١٠ ـ ٣٤

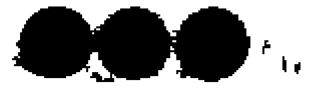
القراءة المتطرفة للصهيونية السياسية :

● في ٩ أبـريل ١٩٤٨ ، أباد منـاحم بيجين ومعـه وحدات أرجـون العسكرية، سكان قرية ديرياسين البالغ عددهم ٢٥٤ نسمة من الرجال والنساء والأطفـــال .

●●●

لن نتنـاقش الفصل الخاص بـالحفـريات الأسطـورية في التـاريخ وادعاءات عملية الترقيع التاريخية هذه، لتبرير سياسة مًا، إلا في حالة خاصة هي الاستخدام الذرائعي للـروايات التوراتية، ، لأنها ما انفكت تلعب دورا حـاسما في مصيـر الغرب بتغطيـة العمليات الـدمويـة منذ اضطهـاد اليهـود من قبل الـرومـــان، ثم المسيحيين، وحتى الحـروب الصليبيـة، ومحـاكم التفتيش، والتحـــالفـات المقـدسـة، والهيمنـة الاستعمـاريـة التي مـارستها « الشعـوب المختـارة »، وحتى عمليـات الابتزاز التي مارستها دولة إسرائيل، ليس فحسب بسياستها التوسعية في الشرق الأوسط ولكن بضغوط لـوبياتها، وخاصة بأقـوى لوبي لها وهي الولايـات المتحدة، التي تلعب دورا هـاما في سياسـة أمريكـا للسيطرة العالمية والعدوان العسكري .

هذا هـو السبب في اختيارنـا لهذا الماضي الأسطـوري الذي يـوجه المستقبل نحو ما يمكن أن يكون انتحارا كونيا .



وتتضمن التوراة، وبما يفوق المذابح التى أمر بها « رب الجيوش »، النبوءات الكبرى لعاموسى وحزقيال وأشعيا وأيوب، وحتى البشارة «بتحالف جديد » مع دانيال.

وهذا التحالف الجديد (العهد الجديد) ينبيء في آن واحد ببدء أكبر تحول في تاريخ الإنسان والأنبياء، بصعود المسيح، وأراد به الله، كما يقول آباء الكنيسة الشرقية: « أن يصبح إنسانا لكى يتمكن الإنسان من أن يصبح إلها ».

ثم كانت العودة مع القديس بولس، بالرؤية التقليدية للرب الأعلى والأقوى، الذى يوجه حياة الناس والطوائف من الخارج ومن أعلى، وليس « بالقانون » اليهودى، ولكن « بعطية » مسيحية ظاهرها تحطيم مسئولية الإنسان. «فإنكم بالنعمة مخلصون بواسطة الإيمان وذلك ليس منكم إنما هو عطية الله» (رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس، الفصل الثاني، ٨).

إننا لا نعالج التوراة بصفة عامة، وإنما فقط الجزء الذى يدعى النظام الثيوقراطى الإسرائيلى والحركة الصهيونية استلهامه: أى الأسفار الخمسة الأولى: التكوين، والخروج، والأحبار، والعدد، وتثنية الاشتراع، والملاحق المسماة الملاحق التاريخية وهى سفر يشوع، والقضاة، وصموئيل. فالتوراة اليهودية لا تشكل جزءا من النقد النبوى الفخيم الذي يذكّر دائما بأن « علاقة الله بالإنسان » مشروطة وعالمية

وأنها مرتبطـة بطاعة القانون الـربانى وأنها مفتوحـة أمام جميع الشعوب وكل الناس .

●●●

وأسفار التوراة والكتب التـاريخية هى بمثابة تجميع خطـى للتقاليد الشفهية التى جاء بها مؤرخو القـرن التاسع ، ونُسَّاخ سليمان الذي كان همهم الأكبر هو إضفاء الشرعية على غزوات داود ومملكته وتفخيمها ، والتى مع ذلك لا سبيل هنـاك للتحقـق منهـا بـالمقـارنـة أو المقـابلـة التاريخيـة ، أو بالأطلال الأثـرية ، ولا بوثـائق أخرى سوى الكتـابات التـوراتية . . ويتعلق الحـدث الأول الـذى أكدتـه التـواريخ الخارجيـة بسليمان ، حيث توجد آثاره في المحفوظات الآشورية .

وإلى هنـا ، لا تـوجد أيـة مصـادر خارجيـة أخـرى غيـر الكتابـات الموجودة في التوراة للتحقيق من تأريخيتها .

وعلى سبيل المثال ، فإن الآثـار الأركيولـوجية في حور بـالعراق ، لا تمدنا بأية معلومات إضافيـة عن إبراهيم ، تماما مثلما أن حفائر أطلال طروادة لا تفيدنا بالجديد عن هكتور وبريام .

وفي سفر « العدد » (الفصل الحادى والثلاثون ، ٧ ـ ١٨) .

يقال لنا إن مـآثر « بنى إسرائيل » ، الذين هزموا المـدينين ، « فقاتلوا مدين كمـا أمر الـرب موسى وقتلوا كل ذكـر » « وسبى بنو إسـرائيل نساء مـدين » « وجميع مدنهم مع مسـاكنهم وقصورهم أحـرقوهـا بالنـار » .

وعندما عادوا إلى موسى ، « فسخط موسى على وكلاء الجيش وقال لهم موسى هل استبقيتم الإناث كلهن ، فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت مضاجعة رجل اقتلوها ، وأما إناث الأطفال اللواتى لم يعرفن مضاجعة الرجال فاستبقوهن لكم » . (١٤ ـ ١٨) .

وتابع يشوع ، خليفة موسى ، وفى أثناء غزوه لكنعان ، وبطريقة منهجية ، سياسة « التطهير العرقى » التى أمر بها رب الجيوش .

« وفتح يشوع في ذلك اليوم مَقيدة وضربها بحد السيف وأبسل ملكها وكل الأنفس التى فيها لم يبق باقيا فصنع بملك مقيدة كما صنع بملك أريحا . ثم اجتاز يشوع وجميع إسرائيل معه من مقيدة إلى لبنة وحاربها . فأسلمها الرب أيضا إلى أيدي إسرائيل وهى وملكها فضربوها بحد السيف وقتلوا كل نفس فيها فلم يُبقوا فيها باقيا وفعلوا بملكها كما فعلوا بملك أريحا . وجاز يشوع وجميع إسرائيل معه . من لبنة إلى لاكيش ونزل عليها وحاربها . فأسلم الرب لاكيش إلى أيدى إسرائيل فافتتحوها في اليوم الثانى وضربوها بحد السيف وقتلوا كل نفس فيها كما فعلوا بلبنة . حينئذ صعد هورام ملك جازر لنصرة لاليش فضربه يشوع هو وقومه حتى لم يبق منهم باقيا . واجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لاكيش إلى عجلون ونزلوا عليها وحاربوها وافتتحوها في ذلك اليوم فضربوها بحد السيف وأبسل كل نفس فيها فى ذلك اليوم عينه كما فعل بلاكيش . وصعد يشوع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى صبرون وحاربوها » .

[المصدر: سفر يشوع، الفصل العاشر، ٣٤-٣٨].

وتستمر هذه الملحمة المملة في سرد وتعداد «عمليات الإبادة المقدسة» التى وقعت في الضفة الغربية.

وينبغى لنا، أمام هذه الأحاديث، طرح سؤالين اثنين أساسيين هما:

١ - الأول بشأن صحتها التاريخية.

٢ - والثانى بشأن عواقب التقليد الحرفى للإشادة. بسياسة الإبادة.

أ) وعن النقطة الأولى:

فإننا نصطدم هنا بعلم الآثار. ويبدو أن الحفائر قد برهنت على أن الإسرائيليين الذين وصلوا في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، لم يستطيعوا الاستيلاء على أريحا لأنها كانت غير مأهولة في ذلك الوقت. فمدينة عصر البرونز الوسيط كانت قد دمرت نحو ١٥٥٠ ثم هُجرت بعد ذلك. وفي القرن الرابع عشر، سُكنت بصورة ضعيفة، فقد وجدت آنية من الفخار ترجع إلى ذلك العصر داخل مقابر العصر البرونزى الوسيط التى استخدمت مرة أخرى، ومنزل به إبريق صغير يرجع إلى منتصف القرن الرابع عشر. ولا شىء هناك ينتسب إلى القرن الثالث عشر. ولا توجد أية آثار لحصون العصر البرونزى الحديث.

وكانت النتيجة التى توصلت إليها الآنسة ك. م. كينون أنه من

المستحيل ربط تدمير أريحا بدخول الإسرائيليين في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

[المصدر: ك . م : كينون: الحفر في أريحا، لندن، ١٩٥٧، الصفحات ٢٥٦_٢٦٥].

وهكذا الحال بالنسبة للاستيلاء على مدينة عاى. فقد، قامت بعثتان بالحفر والتنقيب في الموقع، وجاءت النتائج متطابقة، وهو أنه لم تكن توجد مدينة وقت قدوم الإسرائيليين، ولم يكن هناك ملك لآى، فقد كانت هناك أطلال تعود إلى ١٢٠٠ سنة.

[المصدر: الأب دى فو: التاريخ القديم لإسرائيل، باريس ١٩٧١ ، المجلد ١ ص . ٥٦٥].

ب) وعن النقطة الثانية.

لماذا لا يحذو، والحال هذه، أى يهودى متدين ومتطرف (أى متمسك بالقراءة الحرفية للتوراة) حذو هذه الشخصيات الجليلة المتمثلة في موسى ويشوع؟

وألم يذكر سفر العدد، وعندما بدأ غزو فلسطين (كنعان): «فسمع الرب صوت إسرائيل ودفع إليهم الكنعانيين فأبسلوهم هم ومدنهم» (العدد، الحادى والعشرون، ٣)، ثم وبخصوص الأموريين وملكهم: «فضربه إسرائيل بحد السيف هو وقومه حتى لم يبق منهم أحدا، واستولوا على بلاده. » (العدد، الحادى والعشرون، ٣٥).

ويكرر سفر تثنية الاشتراع : « وإذا أدخلك الرب ، إلهك الأرض التى أنت صائر إليها لترثها واستأصل أمما كثيرة . . فأبسلهم إبسالا (الفصل السابع، ١ ـ ٢). « فلا يقف أحد بين يديك حتى تفنيهم » (الفصل السابع، ٢٤).

ومن شارون إلى الحاخام مائير كاهانا، فذاك تجسيد للطريقة التى سيتبعها الصهاينة حيال الفلسطينيين .

ألم تكن مسيرة يشوع هى مسيرة مناخم بيجين عندما قضى في ٩ أبريل ١٩٤٨ على سكان دير ياسين ، من الرجال والنساء والأطفال البالغ عددهم ٢٥٤ نسمة ، وقتلهم هو وجنود « الأرجون » لكى يفر العرب العُزَّل مذعورين .

[المصدر: مناحم بيجين : العصيان، تاريخ الأرجون، ١٩٧٨ ، ص ٢٠٠].

فهو لم يطلب إلى اليهود، « ليس فحسب طرد العرب، بل الاستيلاء على كل فلسطين » .

وألم يكن طريق يشوع هى التى أشار إليها موشى ديان : « فإذا كنا نمتلك التوراة، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة ، فينبغى لنا أن نمتلك كذلك أرضى التوراة »؟

[المصدر: جيروزاليم بوست، ١٠ أغسطس ١٩٧٧] .

وألم يكن طريق يشوع هو الطريق الذى وضعه يورام بن بورات في الجريدة الإسرائيلية الكبرى أديعوت أحرونوت، الصادرة في ١٤ يولية

١٩٧٢ : « لا صهيونيـة واستعمار للـدولة اليهـودية بـدون إبعاد العـرب وطردهم والاستيلاء على أراضيهم »؟

أما وسـائل وأساليب هـذا الاستيلاء علـى الأرض فقد حددهـا رابين عندما كان جنرالا على الأراضى المحتلة : تكسير عظام ملقى الأحجار من أطفال الانتفاضة.

فماذا كـان رد فعل المدارس التلمودية في إسـرائيل؟ تسليم السلطة إلى أحد المسئولين المبـاشرين عن مذبحة صبرا وشاتيـلا وهو الجنرال رفـائيل إيتـان الـذى نـادى «بزيـادة تحصين المستـوطنـات اليهـوديـة القائمة».

وبنفس هـذا اليقين، انـدفع الـدكتـور بـاروخ جـولـدشتين، وهـو مستوطن من أصل أمريكى، من قرية أربـه « الضفة الغربية » وقتل أكثر من سبعة وعشرين فلسطينيا وجـرح أكثر من خمسين، وهم يصلون في الحرم الإبراهيمي. كان باروخ عضوا في جماعـة متطرفة تأسست برعاية أريل شـارون (أى تحت حمايـة من قاد مـذابح صبرا وشـاتيلا والـذى كـوفـيء على جـريمتــه بتعيينـه وزيـرا لـلإسكـان، ومكلفــا بتنميـة المستــوطنــات في الأراضى المحتلــة)، وهـــو الآن مـــوضع تبجيل المتطرفين الـذي يأتون إلى قبره بـالزهور وينحنون لتقبيلـه، فهو الأمين على تقاليـد يشوع الراميـة إلى القضاء على كل شعـوب كنعان من أجل الاستيلاء على أراضيهم.

●●●

- وهذا التطهيـر العرقى الـذي يمارس بشكل منتظم في دولـة إسرائيل

اليوم، ينبع من مبدأ النقاء العرقي الذى يمنع امتزاج الدم اليهودى بأى دم دنس من دماء الآخرين.

وفي السطور التى تلى أمر الرب بالقضاء على السكان، يوصى الرب موسى وقومه بألا يزوج شعبه من بنات تلك الشعوب (سفر الخروج، الفصل الرابع والثلاثون، ١٦).

وفى سفر تثنية الاشتراع فإن الشعب المختار (الفصل السابع، ٦) لا ينبغى له الاختلاط بالآخرين: «ولا تصاهرهم ابنتك لا تعطها لابنه وابنته لا تأخذها لابنك» (الفصل السابع، ٣).

وهذا الفصل العنصرى هو الطريقة الوحيدة لمنع تدنيس العنصر المختار من الرب، والدين الذى يربطه به.

وظل هذا الانفصال عن الآخر هو القانون. ففى كتابه «التلمود»[١] كتب الحاخام كوهين يقول: يمكن توزيع جميع سكان المعمورة بين إسرائيل والشعوب الأخرى جمعاء. فإسرائيل هو الشعب المختار».

ولم يتقاعس عزرا ونحميا، عقب عودتهما من المنفى، في تطبيق هذا الفصل العنصرى:

فقد بكا عزرا لأن الجنس الطاهر (كذا!) قد اختلط بشعوب البلاد (عزرا، الفصل التاسع، ٢).

---

(١) الحاخام كوهين: التلمود، باريس، ١٩٨٦، صفحة ١٠٤

وهو الذى أمر بالانتقاء الجنسى وبالتمييز العنصرى : « جميع هؤلاء اتخذوا نساء غريبات وكان منهن من ولدن بنين » (عزرا ، الفصل العاشر، ٤٤). ويقـول نحميـا عن اليهـود : « فطهـرتهـم من كل غـريب » (نحميا، الفصل الثالث عشر، ٣٠).

ومـرض الخـوف من الاختـلاط ورفض الآخـر قـد تجـاوز البعـد الجنسى . فرفـض دم الآخر بالـزواج المختط ، يعنى رفض دينه كـذلك وثقافته أو طريقة حياته .

وهكـذا فإن « يهـوى » ينفجـر غضبـا فـي وجـه من ينحـرفـون عن الحقيقة ، والتى لا يـوجد غيـرها طبعـا : فسوفـونيا يقاتـل ويحارب كل أشكال المـلابس الأجنبية؛ ونحميا ضد اللغـات الأجنبية : « وفى تلك الأيـا م أيضـا رأيت يهـودا قـد تـزوجـوا نساء أشـدوديـات وعمـونيـات وموآبيات ، وكـان نصف كلام أولادهم بلغة أشدود ولم يكـونوا يحسنون التكلم بـاليهـوديـة بل بلسـان شعب وشعب ، فخـاصمتهم ولعنتهم وضـربت منهم رجـالا ونتفـت شعـرهم واستحلفتهم بـالله أن لاتعطـوا بناتكم لبنيهم ولاتأخـذوا بناتهم لبنيكم ولا لكم » . (نحميـا، ١٣ ، ٢٣ - ٢٥).

ومن يخالف ذلك ، يتعرض للمحاكمة القـاسية ، وتؤكد ربيكا زوجة إسحاق وأم يعقوب : « وقالت رفقة (ربيكا) لإسحاقٍ قد سئمت حياتى من أجل ابنتى حِث فإن تزوج يعقوب بامرأة من بنات حِث مثل هاتين أو من بنـات سـائر أهل هذه الأرض فمـالى والحيـاة » . (التكـوين، ٢٧ /

٤٦). وصاح والدا شمشون فزعـا من زواج ابنهما من فلسطينية: « فقال له أبوه وأمه، أليس في بنات إخـوتك وفى شعبى كله امرأة حتى تذهب وتأخـذ امرأة من الفلسطينيين القُلْفِ: فقـال شمشون لأبيـه: بل إياهـا تأخذ لى لأنها حَسُنَت في عينى». (القضاة، ١٤ / ٣).

ويـؤكد حـاييم كـوهين، الذى كـان قاضيـا بـالمحكمة العليـا في إسـرائيل أنــه: « من سخـريــة الأقـدار المـريــرة أن تستخـدم نفس الأطروحات البيولوجية والعنصرية التى روج لها النازى والتى أوحت لهم بقوانين نورمبرج الشائنة، كأساس لتعريف الوضع اليهودى داخل «دولة إسرائيل» (انظـر جوزيف بادى، القوانيـن الأساسية لدولـة إسرائيل، نيويورك، ١٩٦٠، ص ـ ١٥٦).

والواقع أن المسـألة قد طـرحت أثناء محـاكمة مجرمـى الحرب في نورمبرج، لدى استجواب منظّر الإجناس جيولوس ستريشر:

« في ١٩٣٥ وأثنـاء انعقـاد مـؤتمر الحـزب في نـورمبـرج صـدرت القوانين العنصرية». فهل تم استدعاؤك أثنـاء إعداد مشروع القانون هذا لإسداء المشورة، وهل اشتـركت بأى شكل من الأشكال في وضع هذه القوانين ؟.

ورد المتهم ستريشر: أجل! اعتقد أننى شاركت في ذلك وإننى منذ سنـوات وأنــا أكتب أنــه ينبغى في المستقبل منع أى اختــلاط للـدم الألـمانى بالـدم اليهودى. وقـد كتبت عـدة مقالات في هـذا المعنى، وكررت دائمـا أننا ينبغى أن نأخذ الجنس اليهـودى، الشعب اليهودى،

كنمـوذج. وأعـدت في مقـالاتى أن اليهــود يجب اعتبـارهم كنمـوذج للأجنـاس الأخرى، لأنهـم يتبعون قـانونا عنصريـا، هو قانـون موسى، الـذى يقـول: إذا ذهبـت إلى بلـد أجنبي، ينبغي لك ألا تأخــذ امـرأة أجنبية». وهـذا أيها السادة، على درجة كبيـرة من الأهمية للحكم على قـوانين نـورمبـرج، فهى قوانيـن يهوديـة أخـذت كنمـوذج. فهى أصل الحفاظ على الهويـة اليهودية التى عاشت طـوال عدة قرون في حين أن الأجناس الأخرى والحضارات الأخرى قد اندثرت ».

[المصدر: محـاكمة كبار مجـرمى الحرب أمام المحكمـة العسكرية الـدولية (نورمبرج: ١٤ نوفير ١٩٤٥ ـ أكتوبر ١٩٤٦ . النص الرسمى باللغة الفرنسية)] .

وهكـذا وضع المشرّعـون والمستشارون فـي وزارة الداخليـة النازيـة قوانين نـورمبرج، وحق أهالى الـرايخ، وحماية الدم الألمـانى والشرف الألمانى ».

ويعلق هؤلاء المستشارين والمشرّعين على هذا قائلين:

« بناء على رغبـة هتلر (الفـوهرر) ، فإن قـوانين نورمبـرج لا تستلزم حقيقـة اتخاذ تـدابير من شأنهـا أن تزيـد من حدة التعصب العنصـرى وانتشاره ، بل على النقيض من ذلك، فإن مثل هذه التدابير تعنى بداية نوع من الهدوء في العلاقـات بين الشعب اليهودى والشعب الألمانى. وهكذا فإن أشد الصهاينة غلوا لم يظهروا أى نوع من المعارضة ضد روح قوانين نورمبرج».

وهذه العنصرية ، نموذج كل أنواع العنصرية الأخرى ، هى أيديولوجية تستخدم لتبرير هيمنة الشعوب المختلفة .

وأدت الحرفية إلى التمادى في المتجازر التى قام بها يشوع : « إن مستوطنى أمريكا من البروتستنت الأطهار، كانوا في سبيل الاستيلاء على أراضى الهنود ومطاردتهم ، وهم يتذرعون بيشوع « وعمليات الإبادة المقدسة » للعمالقة والفلسطيين .

[المصدر: توماس نلسون، « أطهار ماسا شوشتش اليهودية، المجلد السادس عشر، رقم ٢ ، ١٩٦٧].

وتندرج أيديولوجية « الترنسفير » أى نقل السكان في إطار متوسط بين الإبادة الكنعانية والخوف من الاختلاط ، وتساندها الآن غالبية حاخامات يهودا وسامرا . وتقوم هذه السياسة على أساس قراءة متطرفة للنصوص المقدسة ، مثل الخطاب الموجه من الأحبار إلى اليهود يستحلفونهم فيها عدم ممارسة اختلاط الأجناس (الأحبار ١٩ / ١٩). وأمرهم بالتمييز بين الدم الطاهر والدم الدنس (الأحبار ٢٠ / ٢٥)، والذى ميّز بين إسرائيل والشعوب الأخرى (الأحبار ٢٠ / ٢٤)، وذلك من أجل ممارسة التميز العنصرى (الخروج ٨ / ١٩).

وهكذا لم يتورع الحاخام الأكبر سيترولك أن يقول عام ١٩٩٣ دون رادع أو وازع من أى جهة من الجهات :

« أود ألا يتزوج الشباب اليهود أبداً إلا من شابات يهوديات » .

وهكذا فإن إسرائيل « المقدسة » (الأحبار ٢٠ / ٢٦) ينبغى ألا تتدنس

(عزرا : ٩ / ١١) بالاتصال بشعوب أخرى التى مقتها الرب (الأخبار ، ٢٠ / ٢٣).

وتكرر هذا المنع مرارا وتكرارا .

« ولا تصاهرهم ابنتك لا تعطها لابنه وابنته لا تأخذها لابنك ، لأنه يغوى ابنك عن اتباعى . . » . (تثنية الاشتراع ٧ / ٣ ـ ٤) . « ولكن إذا ارتددتم واختلطتم ببقية هؤلاء الأمم (الشعوب الكنعانية) ، الذين بقوا معكم وصاهرتموهم ودخلتم بينهم ودخلوا بينكم ، فاعلموا أن الرب إلهكم لا يعود يطرد أولئك الأمم من وجهكم بل يصيرون لكم وهقا ومعثرة وسوطا على جنوبكم وشوكا في عيونكم حتى تضمحلوا عن هذه الأرض الصالحة التى أعطاكم الرب إلهكم » . (سفر يشوع ، ٢٣ / ١٢ ـ ١٣) .

وفى ١٠ نوفبر ١٩٧٥ ، وفى جلسة عامة ، اعتبرت منظمة الأمم المتحدة أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصرى .

ومنذ انهيار الاتحاد السوفيتى ، وضعت الولايات المتحدة يدها على الأمم المتحدة وحصلت فى ١٦ ديسمبر ١٩٩١ ، على قرار بإلغاء القرار العادل الصادر في سنة ١٩٧٥ . مع أن الحقائق تثبت أن لا شيء قد تغير منذ ١٩٧٥ ، فقد اتخذ بالأحرى قمع الشعب الفلسطينى واستعماره وإبادته الجماعية البطيئة ، أبعادا أوسع لم يسبق لها مثيل .

●●●



ثانيــــا

أساطير القرن العشرين

١ ـ أسطورة معاداة الصهيونية للفاشية

في عام ١٩٤١، اقترف إسحاق شامير «جريمة لاتغتفر من الناحية الأخلاقية، فقد دعا إلى التحالف مع هتلر ومع ألمانيا النازية ضد بريطانيا».

(بن زوهار، بن جوريون، النبي المسلح، باريس، ١٩٦٦، ص ـ ٩٩).

عندما بدأت الحرب ضد هتلر، وقفت الغالبية العظمى من المنظمات اليهودية إلى جانب الحلفاء، بل إن غالبية زعماء اليهود ومنهم حاييم وايزمان، اتخذوا موقفا مساندا للحلفاء، إلا أن الجماعة الصهيونية رغم أقليتها في ألمانيا آنذاك اتخذت سياسة مخالفة منذ ١٩٣٣ وحتى ١٩٤١، وتواطأت بل وتعاونت مع هتلر. وكانت السلطات النازية، وفي الوقت الذى كانت تضطهد فيه اليهود بطردهم من الوظائف العامة على سبيل المثال في مرحلة أولى، تتحاور مع القادة الصهاينة الألمان ومنحتهم معاملة تفضيلية بتمييزهم عن اليهود من ذوى النزعة المتطرفة الذين كانت تطاردهم.

ولا ينصب الاتهام بالتواطؤ مع السلطات النازية على الغالبية العظمي من اليهود، بل إن بعضهم لم ينتظر الحرب العالمية لمكافحة الفاشية بالسلاح في إسبانيا من ١٩٣٦ إلى ١٩٣٩ في صفوف الفرق الدولية. وأنشأ بعضهم في جيتو وارسو «لجنة الكفاح اليهودية» وماتوا وهم يحاربون.

ولكن هذا الاتهام ينطبق على الأقلية التى كانت منظمة تنظيما جيدا والمكونة من القادة الصهاينة الذين كان همهم الوحيد إنشاء دولة يهودية قوية .

وكـان اهتمامهم الـوحيد بإنشـاء دولـة يهوديـة قويـة وحتى رؤيتهم العنصرية للعـالم، قـد جعل عداوتهم لـلإنجليـز أشد من عـداوتهم للنازية .

وبعد الحرب، أصبحـوا ، كمناحم بيجين أو إسحاق شـامير، قادة الصدارة في دولة إسرائيل .

●●●

وبتاريخ ٥ سبتمبر ١٩٣٩ ـ أى بعد يـومين من إعلان إنجلترا وفرنسا الحرب على ألمـانيا، كتب حاييم ويـزمان رئيس الـوكالة اليهـودية إلى تشمبرلين، رئيس وزراء صـاحب الجلالـة ملك إنجلترا ، خطابـا يبلغه فيه : إننـا نحن اليهود في جانب بـريطانيـا العظمى وسنحاربَ من أجل الديموقراطية » .

مشيـرا إلى أن « المفـوضين عن اليهـود على استعداد فـورى لإبـرام اتفـاق للسماح بـاستخدام كل قـواهم وعدتهم من الـرجال ومهـاراتهم التقنية ومساعداتهم المادية وكل قدراتهم » . وقد نشر هذا الخطاب في « الجويش كـرونيكل » يوم ٨ سبتمر ١٩٣٩ ، وهـو يعتبر بمثابـة إعلان

حرب صريح من العالم اليهودى ضد ألمانيا . وقد طرح هذا الخطاب مشكلة احتجاز كل اليهود الألمان في معسكرات الاعتقال بوصفهم «رعايا شعب في حالة حرب مع ألمانيا» كما فعل الأمريكان مع مواطنيهم من أصل يابانى عشية دخولهم الحرب مع اليابان .

●●●

ولقد برهن الزعماء الصهاينة ، في عصر الفاشية الهتلرية والموسولنية ، على سلوك غامض ومشبوه بدءا من عرقلة الكفاح ضد الفاشية وحتى محاولة التعاون .

فالهدف الأساسى للصهاينة لم يكن إنقاذ حياة اليهود ولكن إنشاء دولة يهودية في فلسطين . وقد أعلن أول رئيس لدولة إسرائيل ، بن جوريون ، ودون مواربة ، في ٧ ديسمبر ١٩٣٨ ، أمام القادة الصهاينة من «العمال» : لو كنت أعلم أنه من الممكن إنقاذ كل أطفال ألمانيا بإحضارهم إلى إنجلترا ، أو إنقاذ نصفهم فقط بنقلهم إلى إسرائيل الكبرى ، لاخترت الحل الثاني . لأننا يجب أن نحرص ليس فحسب على حياة هؤلاء الأطفال ، بل وعلى تاريخ شعب إسرائيل أيضا» .

[المصدر : إيفون جلبنير، السياسة الصهيونية ومصير اليهودية الأوروبية، القدس، المجلد الثاني عشر، ص-١٩٩] .

«لم يكن إنقاذ يهود أوروبا على رأس أولويات الطبقة الحاكمة ، بل كان تأسيس دولة هو الأمر المهيمن في نظرهم» .

[المصدر : توم سيجيف ، المليون السابع ، باريس ١٩٩٣ ، ص-٥٣٩] .

وهذا التعصب يوحى بموقف الوفد الصهيونى في مؤتمر إيفيان ، في يـوليـه ١٩٣٨ ، حيث اجتمعت ٣١ دولة لمناقشة استيعاب لاجئى ألمانيا النازية . فقد طالب الوفد الصهيونى وكحل وحيد ممكن ، بقبول مائتى ألف يهودى في فلسطين .

لقد كانت الدولة اليهودية بالنسبة لهم أهم من حياة اليهود .

إن العدو الرئيسى بالنسبة لزعماء الصهاينة هو ذوبان اليهود وتمثلهم في مجتمعـاتهم . وهم يلتقـون في ذلك مع الفكـر الأسـاسى لأى عنصـرية ، بمـا في ذلك العنصريـة الهتلريـة ، وهو نقـاء الدم . ولهـذا السبب ، وطبقا لمعاداة السامية المنظمـة التى دفعت زعماء النازية إلى مطاردة كل اليهـود من ألمانيا ثم من أوروبـا عندما سيطـروا عليها ، فإن النـازيين اعتبـروا الصهـاينـة بمثابـة السنـد لهم لأنهم يخـدمـون هـذا المخطط .

وهناك قـرائن تدل على هـذا التواطؤ . فقـد وجه الاتحـاد الصهيونى الألمانى إلى حـزب النازى مـذكرة في ١ـ يـونيه ١٩٣٣ ، أعلن فيهـا ما يلى :

« بتأسيس دولـة جـديـدة ، أعلنـت مبـدأ الجنس ، نأمل أن تتـواءم طـائفتان مع الهيـاكل الجديـدة . . . وإن اعترافنا بالجنسيـة اليهودية

يسمح لنا بإقامة علاقات واضحة وصادقة مع الشعب الألماني وحقائقه القومية والعنصرية. وذلك لأننا لا نود أن نقلل من قدر المبادئ الأساسية، ولأننا أيضا ضد الزيجات المختلطة.. فاليهود الواعون بهويتهم والذين نتحدث باسمهم، يستطيعون أن يجدوا مكانا لهم داخل هياكل الدولة الألمانية، لأنهم قد تحرروا من الشعور بالحقد والضغينة الذى يعانى منه اليهود الذين تمثلتهم المجتمعات الموجودين بها؟.. إننا نعتقد في إمكانية العلاقات المخلصة بين اليهود الواعين بطائفتهم وبالدولة الألمانية.

ولبلوغ هذه الأهداف العملية، تأمل الصهيونية في أن تتمكن من التعاون حتى مع حكومة معادية تماما لليهود.. فإن تحقيق الصهيونية لا يضيره حقد اليهود في الخارج، وعدائهم للتوجه الألماني الحالى. والدعاية للمقاطعة ــ والموجهة حاليا ضد ألمانيا ـ هى في جوهرها ليست صهيونية.

[المصدر: لوسى داووفيش، قارئ للهلوكوست، ص ١٥٥].

وأضافت المذكرة: وإنه في حالة موافقة الألمان على هذا التعاون، سيسعى الصهاينة بكل جهدهم إلى تحويل اليهود في الخارج عن المناداة بالمقاطعة ضد ألمانيا.

[المصدر لوسى داووفيش، الحرب ضد اليهود (١٩٣٣ ـ ١٩٤٥) لندن، ١٩٧٧، الصفحتان ٢٣١، ٢٣٢].

رحب الزعماء الهتلريون بتوجهات قادة الصهاينة الذين يتفقون معهم في التخلص من اليهـود من أجل همهم الـوحيـد بإنشـاء دولتهم في فلسطين . وكتب المنظِّر النازى الرئيسى الفريد روزنبرج : ينبغى مساندة الصهيونية بكل قوة حتى يتسنى نقل مجمـوعة من اليهود الألمان سنويا إلى فلسطين .

[المصدر أ. روزنبرج : مسار اليهـود على مدار الزمن ، ميونخ ، ١٩٣٧ ، ص ١٥٣].

وكتب رينهـارت هيدريش فـي عام ١٩٣٥ : يجب علينـا أن نقسم اليهـود إلى فئتين : الصهـاينـة ومـؤيـدى الاستيعـاب في المجتمـات الأخـرى . فالصهـاينة ينـادون بمفهوم عنصـرى بحت ، وبالهجـرة إلى فلسطين ، يساعـدون على بناء دولتهم اليهـودية الخـاصة بهم . . ولهم تمنياتنا و إرادتنا الرسمية .

[المصدر : هوهن : جمعية رأس الميت ، ص ٣٣٣].

وكتب مولاو شوانت إلى وزارة الداخلية : ليس هناك من الأسباب ما يدعـو إلى عرقلـة النشاط الصهيـونى في ألمانيـا بواسطـة أى إجراءات إداريـة ، لأن الصهيـونية لا تتعـارض مع بـرنـامج الاشتـراكية القـوميـة (النازية) التى هدفها هو إبعاد يهود ألمانيا تدريجيا .

[المصدر : الخطاب رقم ٢١ـ ٨٣ ZII ، المؤرخ في ٢٨ / ٨ / ١٩٣٥].

وقـد طبقت هذه الأوامـر بحذافيـرهـا لتأكيد الإجـراءات السابقـة .

وبفضل هـذا المركـز التفضيلى للصهيونيـة في ألمانيـا النازيـة، كتب الجيستابو البـافارى إلى البوليس في ٢٨ ينايـر ١٩٣٥، هذا المنشور: «ينبغى ألا يعامل أعضـاء المنظمة الصهيونية وبسبب نشاطهـم الموجه نحـو الهجـرة إلى فلسطين، بنفس الصـرامـة الـواجبـة حيـال أعضـاء المنظمات اليهودية الألـمانية».

[المصدر: كورت جروسمان، «الصهاينة وغير الصهاينة في ظل القانون النازى في الثلاثينات» المجلد الرابع، ، ص ٣١٠].

«لقد كـان وجود المنظمـة الصهيونيـة ليهود ألمـانيا وجـودا قانـونيا وشرعيـا حتى عام ١٩٣٨، أى بعـد مضى خمس سنوات علـى اعتلاء هتلـر الحكم. . واستمـرت صحيفـة الصهاينـة الألـمـان تصـدر حتى ١٩٣٨».

[المصدر: ليوبوفيتش، إسرائيل واليهودية، ١٩٩٣، ص ١١٦].

وفي مقابل الاعتراف الـرسمى بالزعماء الصهـاينة بوصفهم الممثلين الـوحيـدين للطـائفة اليهـوديـة، فقـد عـرضـوا القيام بكسـر الحصـار والمقاطعة التى كان أعداء الفاشية في العالم يحاولون فرضهما.

وابتـداء من ١٩٣٣، بـدأ التعاون الاقتصـادى : وأنشئت شـركتـان هما : شركة هعفرا، في تل أبيب، وشركة يالترو، في برلين.

وكانت آلية العمليـة على النحو التالى : يودع أى يهـودى يرغب في الهجـرة، في بنـك فـاسـرمـان فـي بـرلين، أو فى بنك فـاربـورج في

هامبورج، مبلغا لا يقل عن ١٠٠ جنيه استرليني وبهذا المبلغ يشترى المصدرون اليهود بضائع ألمانية وجهتها فلسطين، ومع دفع القيمة المقابلة بالجنيهات الفلسطينية، ولحساب شركة هعفرا، في البنك الإنجلو فلسطيني في تل أبيب. وعندما يصل المهاجر إلى فلسطين، يتسلم ما يعادل المبلغ الذى أودعه في ألمانيا.

وقد شارك عدد كبير من رؤساء وزراء إسرائيل في هذه العملية ولا سيما بن جوريون وموشى شاريت (الذي كان يسمى حينذاك موشى شرتوك) وجولدا مائير التى ساندتها انطلاقا من نيويورك، وليفى أشكول الذى كان هو الممثل في برلين.

[المصدر: « بن جوريون وشرتوك »، ص ٢٩٤].

ولقد كانت العملية مربحة بالنسبة للطرفين: فقد نجح النازى في تحطيم الحصار (ونجح الصهاينة في بيع بضائع ألمانية حتى في إنجلترا)، وحقق الصهاينة هجرة « انتقائية » كما أرادوها: فالمليونيرات وحدهم كان بوسعهم الهجرة (والتى كانت رؤوس أموالهم تسمح بتنمية الاستيطان الصهيونى في فلسطين). وطبقا لأهداف الصهيونية، فقد كان الأهم هو إنقاذ رؤوس الأموال اليهودية من ألمانيا النازية لكي تتاح لها توسيع عمليتها، وإن حياة اليهود المعدمين أو غير القادرين على العمل أو على الحرب، ما هى إلا عالة وعبء ثقيل.

ودامت سياسة التعاون هذه حتى ١٩٤١ (أى طوال ٨ سنوات بعد وصول هتلر إلى السلطة). وكان إيخمان هو همزة الوصل مع كاستنر.

فقد كشفت محاكمة إيخمان، وفى جزء منها على الأقل، عن آليات هذا التواطؤ « والمبادلات » بين اليهود الصهاينة « المهمين » بالنسبة لإنشاء الدولة اليهودية (شخصيات غنية، تقنيون، شبان قادرون على تعزيز الجيوش . . . إلخ) وبين كتلة من اليهود أقل نفعا ومتروكة في يد هتلر.

وأعلن رئيس هذه اللجنة إسحاق جرونبوم في ١٨ يناير ١٩٤٣ : الصهيونية مُقدمة على كل شيء . .

« وسيقولون إننى معاد للسامية، وإننى لا أريد أن أنقذ من في المنفى ، وإننى لا أملك قلب يهودى يدشى حار (واليدشى هى لغة يهود أوروبا) » . [. . .] ولندعهم يقولون ما يريدون. ولن أطالب الوكالة اليهودية بأن تخصص مبلغ ٣٠٠٠٠٠ ولا مبلغ ١٠٠٠٠ جنيه استرلينى لمساعدة اليهودية الأوروبية .

وأظن أن من يطالب بمثل هذه الأمور فإنما يقترف إثما ضد الصهيونية » .

[المصدر: جرونبوم: أيام التدمير، ص ٦٨٠] .

وقد كان ذلك هو وجهة نظر بن جوريون أيضا : « إن مهمة الصهيوني لا تكمن في إنقاذ « بقية » إسرائيل الموجودة في أوروبا ، ولكن في إنقاذ أرض إسرائيل للشعب اليهودى » .

« واتفق زعماء الوكالة اليهودية على أن الأقلية التى يمكن إنقاذها ينبغى أن يتم اختيارها وفقا لاحتياجات المشروع الصهيونى في فلسطين».

[المصدر: توم سجيف، ص ١٢٥ ، ص ١٥٨].

وقد حضرحنا أرنت، أحد كبار المدافعين عن القضية اليهودية بدراساته وكتبه، هذه المناقشات. وخصها بكتاب هو: إيخمان في القدس. بيَّن فيه (الصفحات ١٤٣ ــ ١٤١) سلبية بل وتواطؤ المجالس اليهودية التى كان ثلثاها يُدار بمعرفة الصهاينة.

ومن واقع كتاب إيسايا ترونك: « طبقا لحسابات فروديجر، كان من الممكن إنقاذ خمسين في المائة من اليهود إذا كانوا قد خالفوا تعليمات المجالس اليهودية ولم يتبعوها». (صفحة ١٤١).

والأمر الذى له مغزاه هو ما حدث أثناء احتفالات الذكرى الخمسين بانتفاضة جيتو وارسو، والذى طلب فيه رئيس دولة إسرائيل من ليش فاليزى، رئيس بولندا، ألا يعطى الكلمة لماريك إيدلمان، الرئيس المساعد لهذا العصيان وأحد الذين نجوا ومازالوا على قيد الحياة.

فقد أجرى ماريك ايدلمان فعلا مقابلة آدوار التير من صحيفة هارتس الإسرائيلية فى ١٩٩٣ ، ذكر فيها بمن كانوا هم المحرضون الحقيقيون وإبطال اللجنة اليهودية للكفاح في جيتو وارسو، وهم

الاشتراكيـون من البـوند والمعـادون للصهيونيـة، والشيوعيـون، وأتباع تروتسكى، من أمثال ميخائيل روزنفلد ومالازيمتبوم، مع أدلمان وأقلية من صهاينة اليسار في بوعالى زيون أو هاشومر هتزائير.

فقد ناضل هؤلاء ضد النازية بالسلاح كما فعل اليهود المتطوعون مع الفرق الدوليـة في إسبانيا وفرنسا، أثناء الاحتـلال، والأعضاء اليهود في اليد العاملة المهاجرة.

ويحكى ناحوم جولدمان، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية «ثم» «المجلس اليهودى العـالمى»، في سيرته الـذاتية، مقابلته المأسـاوية مع وزيـر الخارجيـة التشيكى إدوار بينيس فى ١٩٣٥، التى عاب فيهـا على الصهاينـة كسرهم لحصار هتلـر بواسطة شـركة هعفرا (واتفـاقات النقل) ورفض المنظمـة الصهيـونيـة العـالميـة تنظيم المقـاومـة ضـد النازية.

«لم أشعر في حياتى بالأسى والخـزى في أى مقابلة من المقابلات العديدة التى أجريتها، إلا خـلال هاتين الساعتين. لقد أحسست بكل شعرة في جسمى أن بينيس كان على حق».

[المصدر: ناحوم جولدمان، السيرة الذاتية، الصفحات ١٥٧ـ١٥٨].

«وقد استقبل مـوسولينى وايزمـان في ٣ يناير ١٩٢٣ ومـرة أخرى في ١٧ سبتمبـر ١٩٢٦؛ وتحـدث نـاحـوم جـولـدمـان رئيس المنظمـة الصهيونية العالمية مع موسولينى في ٢٦ أكتوبر ١٩٢٧، الذى قال له:

سأساعدكم في إنشاء هذه الدولة اليهودية ». (جولدمان، السيرة الذاتية، ص ١٧٠).

وقد بلغت سياسة التواطؤ هذه ذروتها في عام ١٩٤١ عندما اقترفت مجموعة من غلاة الصهاينة المتطرفين، وهى مجموعة «ليحى» (المحاربون من أجل تحرير إسرائيل) والتى كان يرأسها إبراهام ستيرن، وبعد وفاته ترويكا من بينهم إسحق شامير، « جريمة لا تغتفر من الناحية الأخلاقية وهى المناداة بتحالف مع هتلر، مع ألمانيا النازية، وضد بريطانيا ».

[المصدر: بارزوهار، بن جوريون، المرجع السابق، باريس ١٩٦٦، ص ـ ٩٩].

وكشف أليزرها ليفى، النقابى العمالى المعروف، وعضو كيبوتز يهوى، في أسبوعية « هوتام» التى تصدر في تل أبيب (بتاريخ ١٩ أغسطس ١٩٨٣) عن وجود وثيقة موقعة من إسحق شامير، (الذى كان يسمى حينئذ يزرنيتسكى) وإبراهام شيترن، سلمت إلى سفارة ألمانيا في أنقرة، في الوقت الذى كانت الحرب في أوروبا على أشدها، والتى وطأت فيها قوات روميل أرض مصر، جاء فيها: « من ناحية المفهوم، فنحن نتطابق مع مفهومكم. فلماذا إذن لا نتعاون مع بعضنا البعض؟ ».

ويؤكد أحد الرؤساء التاريخيين لمجموعة « شتيرن »، وهو إسرائيل

الداد، في مقال له نشر في جريدة أديعوت أحرونوت اليومية الصادرة في تل أبيب بتاريخ ٤ فبراير ١٩٨٣، على صحة هذه المباحثات بين حركته والممثلين الرسميين لألمانيا النازية.

وهاك بعض الفقرات الرئيسية لهذا النص: « المبادىء الأساسية للمنظمة العسكرية الوطنية في فلسطين (أرجون زفاى ليومى) بشأن حل المسألة اليهودية في أوروبا والمشاركة النشطة للمنظمة في الحرب إلى جانب ألمانيا ». يتبين من أقوال قادة دولة ألمانيا القومية الاشتراكية (النازية) أن الحل الجذرى للمسألة اليهودية يكمن في إجلاء الجموع اليهودية عن أوروبا. وأن هذا هو الشرط الأولي لحل المشكلة اليهودية، ولكن هذا لا يمكن إلا بتوطين تلك الجموع في فلسطين، فى دولة يهودية، وداخل حدودها التاريخية.

وإن حل المشكلة اليهودية بصورة نهائية، وتحرير الشعب اليهودى، هو هدف النشاط السياسى والسنوات الطويلة لكفاح «الحركة من أجل حرية إسرائيل» (ليحيى) ومنظمتها العسكرية الوطنية في فلسطين. (أرجون زفاى ليومى). وتعترف المنظمة بالموقف المتسامح لحكومة الريخ حيال الأنشطة الصهيونية داخل ألمانيا وبالخطط الصهيونية للهجرة، وأن المنظمة تعرض مشاركتها في الحرب إلى جانب ألمانيا شريطة اعتراف حكومة ألمانيا بالتطلعات القومية لحركة ليحى.

وسيسير تعاون حركة تحرير إسرائيل، طبقا للبيانات الأخيرة

لمستشار الريخ الألماني التي شدد فيها السيد هتلر على أن أي مفاوضات وأي تحالفات ينبغي أن تساهم في عزل إنجلترا وهزيمتها.

والمنظمة، بهياكلها ومفهومها للعالم، مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحركات الشمولية الأوروبية».

[المصدر: النص الأصلي باللغة الألمانية المنشور في كتاب دافيد يزرائيلي: المسألة الفلسطينية في السياسة الألمانية، من ١٨٨٩ إلى ١٩٤٥، ١٩٧٤، ص ٣١٥-٣١٧].

وحسب مصادر الصحافة الإسرائيلية، التي نشرت عشرات المقالات في هذا الموضوع، فإن النازي لم يأخذ اقتراحات شتيرن، والسيد شامير وأصدقائه على محمل الجد أبدا.

وقد توقفت المفاوضات بين الطرفين عندما ألقت قوات الحلفاء القبض في يونيه ١٩٤١، على مندوب شتيرن وشامير، وهو نفتالي لوبنتشيك، داخل مكتب الجهاز السري النازي في دمشق. وهناك أعضاء في المجموعة واصلوا الاتصالات حتى إلقاء القبض على إسحاق شامير من طرف السلطات البريطانية في ديسمبر ١٩٤١، بتهمة « الإرهاب والتعاون مع العدو النازي ».

ومثل هذا الماضي لم يمنع إسحاق شامير من أن يصبح رئيس وزراء وأن يكون اليوم أيضًا رئيسا لمعارضة قوية وأشدها تمسكا باحتلال الضفة الغربية. وفي الحقيقة فإن الزعماء الصهاينة، رغم مخاصماتهم

الـداخلية، يـواصلـون نفس الهدف العنصـرى : طـرد السكان العـرب الأصليين بـالترويع والاغتصـاب أو النفى ، لكى يظلـوا وحدهـم الغـزاة والأسياد .

لقـد صـرح بن جـوريـون : « إن بيجيـن ينتمى دون شك إلى النمط الهتلرى . فهـو عنصرى على استعداد لإبادة كل العرب لتحقيق حلمه بتوحيد إسرائيل ، وهو مستعد لإنجاز هذا الهدف المقدس ، باستخدام كل الوسائل » .

[المصدر أ . هـابر، مناجم بيجيـن ، الرجل والأسطورة ، نيـويورك ، ١٩٧٩ ، ص ٣٨٥] .

ونفس هذا الابن جوريون لـم يؤمن أبدا بإمكانية التعايش مع العرب . وكلما قل عدد العرب على تخوم دولة إسرائيل ، كلما كان ذلك أفضل .

وفي عـام ١٩٤٠ ، ولإثارة السخط على الإنجليـز الذين كـانوا قـد قرروا إنقـاذ اليهود المهـددين من هتلر، وذلك بـاستضافتهم في جـزيرة موريشيس ، فإن الباخرة التى كانت تنقلهم وهى ناقلة البضائع الفرنسية « باتريا » ، وعند توقفها في ميناء حيفا يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٤٠ ، لـم يتردد الزعماء الصهاينة من جماعة الهاجاناه (وكان رئيسهم بن جوريون) في تفجيرها ، مما أدى إلى وفاة ٢٥٢ يهوديا وأفراد طاقم الباخرة الإنجليز .

[المصدر: دكتور هرتـزل روزيلوم، ١٩٥٨ وجويش نيوزلتر نيـويورك ، نوفمبر ١٩٥٨] .

ويؤكد يهودا باور حقيقة هذا التفجير بواسطة الهاجاناه ، وعدد الضحايا ، في كتابه يهود للبيع .

[باريس ، ١٩٩٦ ، ص ـ ٨٤] .

ومثال آخر، العراق :

لقد كانت الطائفة اليهودية (١١٠٠٠٠ شخص في ١٩٤٨) متأصلية في البلاد تماما . وأعلن حاخام العراق الأكبر خدوري ساسون : « لقد تمتع اليهود والعرب بنفس الحقوق والامتيازات منذ ألف سنة ولم يعتبروا أنفسهم عناصر غريبة أو منفصلة عن هذا البلد » .

ثم بدأت التصرفات الإرهابية الإسرائيلية ، في ١٩٥٠ في بغداد . وأمام إحجام اليهود العراقيين وترددهم في تسجيل أنفسهم على قوائم الهجرة إلى إسرائيل، لم تتردد الأجهزة السرية الإسرائيلية ومن أجل إقناعهم بأنهم فى خطر، بإلقاء القنابل عليهم . . وقتل الهجوم على معبد « شيم توف » ثلاثة أشخاص وجرح العشرات . وهكذا بدأ الخروج الجماعى المسمى « عملية على بابا » .

[المصدر : جريدة أديعوت أحرونوت، ٨ نوفبر ١٩٧٧] .

وكان الهدف المنشود هو تجميع اليهود في جيتو عالمى .

ولقد أثبتت الوقائع أن تيودور هرتزل كان على حق . وكان اليهود الصالحون يرددون كل يوم : « العام القادم في القدس » . وجعلوا من القدس رمزا لتحالف الرب مع الإنسان . ولكن « العودة » لم تتم إلا بتخويف اليهود من التعرض لخطر أعداء السامية في البلدان الأجنبية .

وفى ٣١ أغسطس ١٩٤٩ ، وفى حـديث موجه لمجموعة من الأمريكيين الذين كانوا في زيارة لإسرائيل، قال بن جوريون : « رغم أننا حققنا حلمنا بإنشاء دولة يهودية ، فإننا ما زلنا في البداية . فلا يوجد في إسرائيل اليوم سوى ٩٠٠٠٠٠ يهودى، بينما غالبية الشعب اليهودى مازالت موجودة في الخارج . ومهمتنا القادمة هى إحضار جميع اليهود إلى إسرائيل » .

وكام هدف بن جوريون هو إحضار أربعة ملايين يهودى في الفترة ما بين ١٩٥١ و ١٩٦١ . ولم يحضر سوى ٨٠٠٠٠٠ . وفي عام ١٩٦٠ ، وصل طوال السنة ٣٠٠٠٠ مهاجر فقط . وفي ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ ، كانت الهجرة خارج إسرائيل تفوق الهجرة إليها .

وبعض عمليات الاضطهاد الكبرى ، كالتى حدثت فى رومانيا ، هى التى كانت وراء « العودة » .

وحتى فظاعة هتلر وأعماله الشرسة لم تنجح في تحقيق حلم بن جوريون .

فمن بين ضحايا النازية من اليهود الذين التجأوا إلى الخارج بين ١٩٣٥ و ١٩٤٣ ، ذهب منهم بالكاد نسبة ٨,٥٪ للإقامة في إسرائيل . وحددت الولايات المتحدة استقبالهم بعدد ١٨٢٠٠٠ (أقل من ٧٪) ، وإنجلترا بعدد ٦٧٠٠٠ (أقل من ٢ ٪) أما الغالبية العظمى، أي نسبة ٧٥٪ ، فقد لجأت إلى الاتحاد السوفيتى .

[المصدر « معهد الشئون اليهودية » في نيويورك] .

وثمـة مثـال نمــوذجى للتـلاعب بـالتـاريخ مـن طـرف المـؤرخين الرسميين، ورد في كتاب يهودا باور الأخيـر، وهو عضو بمعهد التاريخ المعاصر لليهود في الجـامعة العبرية في القدس . فكتابـه عنوانه : يهود للبيع، مع عنوان جـانبى : المفاوضات بين النـازى واليهود، ١٩٣٣ ـ ١٩٤٥ ، وصدر في باريس عام ١٩٩٦ .

ويدل مظهر الكتاب الخارجى على أنـه عمل علمى بما يحتويه من حواشٍ بلغ عددها ٥٢٣ حاشية مرجعية وببليوغرافية وفهارس . . إلخ .

هذا في الظـاهر فقط، لأن بعض المصـادر التى تعالج المـوضوع، والتى لم يستطع المؤلف تجاهلها ، مـرت مرّ الكرام وفى صمت (ربما لأنها تتعـارض مع نظريتـه التى ترمى إلى إبـراز عنايـة زعماء الصهـاينة بانتزاع اليهود الفقراء من براثن هتلر، في وقت كانوا يمارسون فيه نوعا من « الانتقاء ») .

والأعمال التى ذكرها المؤلف ، تنبع كلها من مؤلفات عائلته الروحية الصهيونية . ولم يشر الكتاب إلى تواطـؤ جمعية أرجون تزفاى ليومى مع هتلر في ١٩٤١ ، الـذى اقترحه شاميـر. وقد وضع باور قائمـة بأسماء « المتفاوضين » مع هتلر، وأضاف : « وقد أصبحوا كلهم من الأبطال » أما كل من نادى بمقـاطعة هتلر على مستوى العالم ، فهـم في نظره ليسوا بأبطال !

وغـاية الكتـاب هى محـاولة إخفـاء حقيقـة أساسية هى أن الشغل الشاغل للزعماء الصهاينة أثناء حكم هتلر، لم يكن إنقاذ اليهود من نار

النازى، بـل وطبقا للمشروع الصهيـونى السيـاسى الذى وضعـه تيودور هرتزل، هو تأسيس « دولة يهودية » قوية.

والموضوع الـرئيسى الثانى للكتاب هو الإيهـام بأن حرب هتلر « هى حرب ضد اليهـود » وليست حربا ضد الشيوعيـة في المقام الأول، مما جعله يـوجه معظم قوته الحـربية تجاه الشرق، والسعى إلى إبـرام سلام منفرد مع الولايات المتحدة بل وحتى مع إنجلترا، لكى يضمن الهيمنة على كل أوروبا دون الحاجة إلى المحاربة على جبهتين.

« إن جميع المـؤرخين يتفقـون على أن هيملـر كـان يفضل سـلامـا منفصلا مع الغـرب حتى يكرس كل قواه ضـد الخطر البلشفى » (ص ـ١٦٧) « وكـان فـون بوبـن يعتقد اعتقـادا راسخـا في تفـاهم قـادم مع الولايات المتحدة وألمانيا للـوقف كسد في وجه الشيوعية » (باور، ص ـ ١٨٩).

ولقد كانت « المفاوضات » بين الصهاينة والنازى هدفها بالضبط هو هذا الهدف، وهو ما اضطر باور بالاعتراف به.

« لقد كـان النازى يعرفـون، وعلى النقيض من الروس، أن حكـومة صاحب الجلالة وحكومة الولايات المتحدة لهما من الضعف السياسى ما لا يسمح لهمـا بتحمل أى ضغوط من الضغوط التى يمارسهـا اليهود عليهما ». (باور، ص ـ ٢٦٠).

وفي عام ١٩٤٤، اقتـرح إيخمان على المندوب الصهيونى بـراند،

مبادلة مليون يهودى مقابل ١٠٠٠٠ شاحنة لاستخدامها على الجبهة الروسية دون سواها .

وساند بن جوريون وموشى شاريت (شرتوك) هذا العرض ، ووجه بن جوريون بالفعل نداء شخصيا إلى روزفلت « حتى لا تفلت هذه الفرصة الفريدة وربما الأخيرة لإنقاذ آخر يهود أوروبا » . ولقد كان الهدف واضحا : مبادلة اليهود مقابل معدات إستراتيجية ، بل وإقامة اتصالات دبلوماسية مع الغرب ، وهى اتصالات قد تؤدى إلى سلام منفرد ، أو حتى إلى حرب يشترك فيها الألمان مع الغربيين ضد السوفيت» (باور، ص-٣٤٣) .

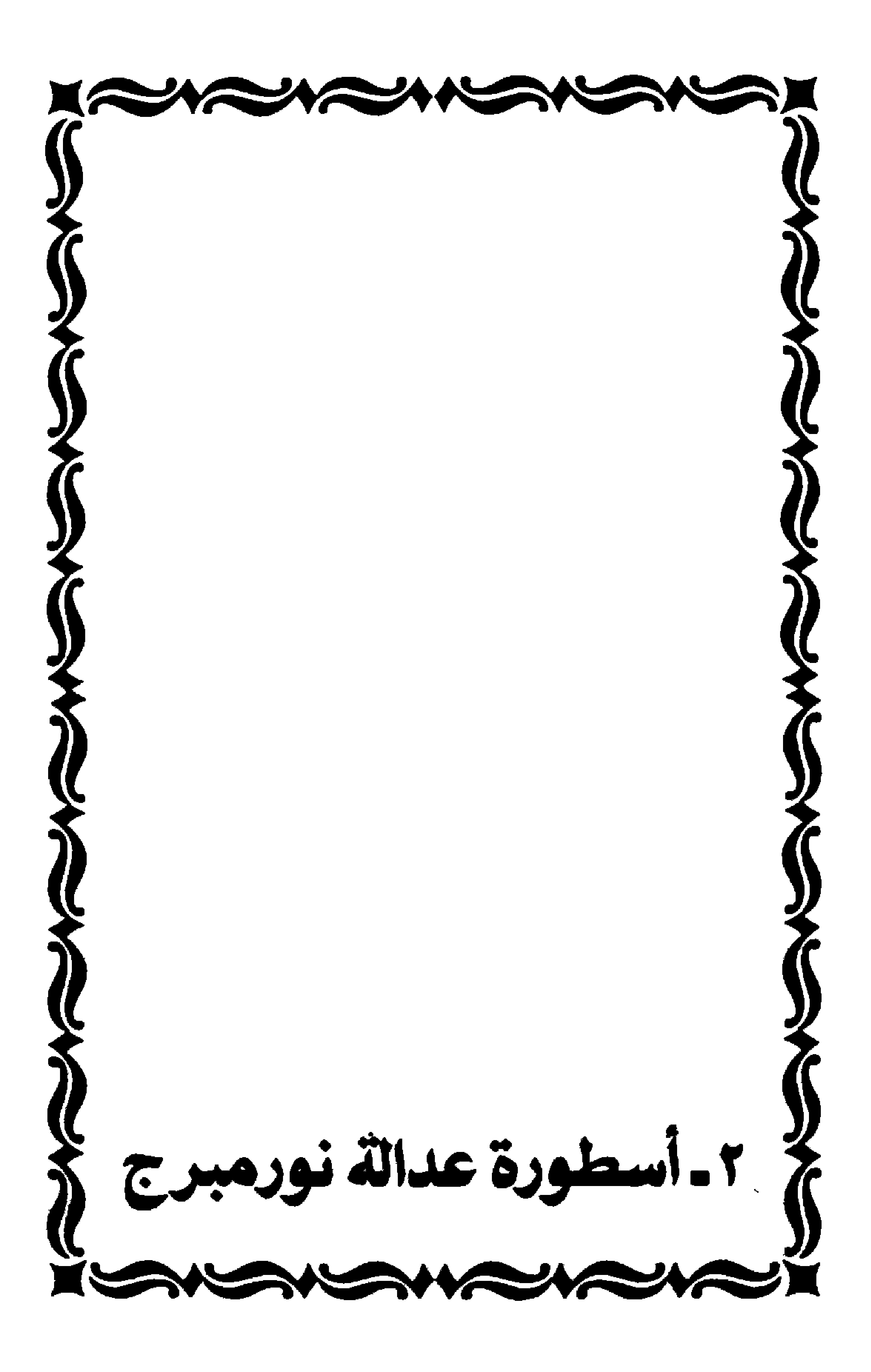
وأخفقت هذه المؤامرة عندما قام الأمريكان والإنجليز بإبلاغ السوفييت بهذه المساومات . ويقول باور فى هذا الصدد : « لقد كان الدور الأساسى لروسيا في المعركة ضد ألمانيا النازية بمثابة الدعم الجوهرى لصلابة موقف الحلفاء . فقد انهزم الفرماخت (الجيش الألمانى) في روسيا على يد الجيش الأحمر. وبدون السوفيت وما عانوه ، وبدون أعمالهم البطولية ، فإن الحرب كانت ستدوم سنوات وسنوات وربما لم نكسبها » . (باور ص - ٣٤٧) .

وعلى كل حال ، فإنه من البداية وحتى النهاية ، لم يفكر الزعماء الصهاينة (وهم الذين تولوا الحكم في إسرائيل مثل شامير) إلا في تأسيس دولة قوية في فلسطين ، ولم يفكروا لحظة واحدة في المسئوليات التى تقع على عاتق جماعة المقاومين لهتلر، كما لو أن

النازيين لم يكن لهم أعداء أو ضحايا إلا اليهود ، وأن الأمر لا يعدو سوى إنقاد اليهود وحدهم .

وحتى الإنجليز فقد انتهى بهم الحال إلى إظهار سخطهم لهذه الرغبة في تجاهل معاناة ٥٠ مليون من ضحايا الهتلرية ، والمطالبة بإنقاذ اليهود دون سواهم ولكن ليس كل اليهود بل كل من يقدر منهم على بناء دولة قوية في فلسطين .

●●●



٢ـ أسطورة عدالة نورمبرج

« إن هـذه المحكمة تمثل استمـرارا لجهود حـرب الدول الحليفـة » روبرت جاكسـون النائب العام للولايـات المتحدة (جلسة ٢٦ يوليـــه ١٩٤٦).

في ٨ أغسطس ١٩٤٥، اجتمع الـزعمـاء الأمـريكيـون والإنجليـز والفرنسيـون والروس في لنـدن للاتفاق على « مـلاحقة وتـوقيع العقاب على كبـار مجـرمي الحـرب التـابعين لقـوى المحـور » وذلك بإنشـاء محكمة عسكرية دولية (المادة الأولى ، أ).

وقـد صُنّفت الجـرائم في المـادة ٦ من الفصل الثـاني على النحـو التالي :

١ ــ جرائم ضـد السلام ، وهي تتعلق بتحـديـد مسئوليـة من قامـوا بإشعال الحرب .

٢ ـ جرائم الحرب ، وتخص خرق قوانين وأعراف الحروب .

٣ ـــ جـرائم ضـــد الإنســانيـة ، وهي الجـرائم المقتـرفـة ضـــد المدنيين . وتشكيل مثل هذه المحكمة يحتاج إلى بعض التعليقات :

أولا ـــ أنهـــا لم تكن محكمــــة دوليــة حيث لـم تتشكل إلا من المنتصرين في الحرب ، وبالتـالي فإن الجرائم التي كانت ستحجز هي

---

(١) في ١٩١٩ ، كتب الاقتصـادي الشهيـر لـورد أورج كينز يقـول : بمعـاهـدة كهذه ، فإن حربا جديدة ستقوم بعد عشرين عاما .

الجرائم التى اقترفها المنهزمون. وهو ما اعترفه به النائب العام الأمريكى روبرت جاكسون الذى كان يرأس جلسة ٢٦ يوليه ١٩٤٦، حيث قال: ما زال الحلفاء عمليا في حالة حرب مع ألمانيا. . . ويوصفها محكمة عسكرية، فإن هذه المحكمة لا تمثل سوى استمرارالجهود حرب الشعوب الحليفة ».

ـ وعلى هذا فالأمر يتعلق بمحكمة استثنائية تشكل آخر فصل من فصول الحرب، وتنفى من حيث مبدأها، المسئولية عن المنتصرين، وقبل كل شيء مسئوليتهم إشعال الحرب.

ففى نورمبرج لم تطرح مسألة ما إذا كانت معاهدة فرساى، بكل عواقبها، وخاصة تضاعف حالات الإفلاس، وكذلك البطالة، قد أتاحت لشخص كهتلر الوصول إلى الذروة بموافقة غالبية الشعب الألمانى [١]. وعلى سبيل المثال، إجبار ألمانيا ألمهزومة في ١٩١٨، على دفع ١٣٢ مليار من الماركات الذهب، كتعويضات حرب، في الوقت كانت فيه الثروة القومية لألمانيا تبلغ ٢٦٠ مليار مارك ذهبًا.

وانهار الاقتصاد الألمانى وأصيب الشعب الألمانى بالإحباط من جراء عمليات الإفلاس وتدهور العملة، وخاصة البطالة، مما أدى إلى صعود نجم هتلر بمنحه أسهل المبررات لدعم فكرته الرئيسية وهى إلغاء معاهدة فرساى وما تضمنته من بؤس وإذلال للشعب الألمانى.

وعندما حصل هتلر وأعوانه من السياسيين على الأغلبية المطلقة في الريشتاخ (البرلمان الألماني) ، بدأت إعادة التسلح بمساعدة من الشركات الأمريكية والإنجليزية والفرنسية الكبرى ، ومن بينها شركة الكمياويات الإمريكية ديبون دى نيمور وشركة أمبيريال كميكالز ، مصرف ديلون في نيويورك الذى قدم الإعانات لصناعة الصلب ، وهناك صناعات أخرى مُولت من طرف مورجان أو روكفلر . .

وهكذا شارك الجنيه الإنجليزى والدولار الإمريكى في المؤامرة التى جاءت بهتلر إلى الحكم .

ولكن مدراء هذه الشركات لم يتم استجوابهم أمام محكمة نورمبرج في إطار « المؤامرة ضد السلام » .

وكثيرا ما ذكرت اللعنات التى كان يكيلها هتلر وزعماء النازى للشيوعيين واليهود . وخاصة ما جاء في الفصل الخامس عشر من الجزء الثانى من « كفاحى » حيث تناول هتلر ماضى حرب الغازات التى شنها الإنجليز أثناء الحرب العالمية الأولى ، وهو الفصل المعنون : «حق الدفاع الشرعي » ، والذى أشار فيه هتلر إلى أنه كان من الأدعى له التخلص من عدة آلاف من اليهود في الوقت المناسب ، حتى ينقذ حياة مليون من الألمان الطيبين والشجعان .

وفي حديث له أمام البرلمان في ٣٠ يناير ١٩٣٩ ، قال كذلك :

« يستطيع اليهود ان يواصلوا شن حرب الإنهاك في بعض الدول

حيث تحميهم الاحتكارات والامتيازات التى يمارسونها على الصحافة والسينما والدعاية الإذاعية والمسارح والأدب وغيرها. ومع ذلك ، فإذا ما نجح هنا الشعب مرة ثانية في دفع ملايين الأشخاص إلى نزاع قد يعود عليهم بالفائدة، فإن ذلك سيؤدى إلى ظهور شجاعة الحركة التوضيحية التى سمحت بالقضاء نهائيا على اليهودية في ألمانيا خلال عدة سنوات ».

وفي ٣٠ يناير ١٩٤١ ، قال هتلر لجموع يهود أوروبا « إن دورهم سيكون قد انتهى بحالة حرب شاملة». وصرح في بيان آخر بتاريخ ٣٠ يناير ١٩٤٢ ، أن الحرب « ستقضى على اليهودية في أوروبا ». والوصية السياسية لهتلر التى نشرتها المحكمة العسكرية الدولية تعج بهذه الأراء. فهتلر يتحدث عن تدمير « نفوذ ما » أما هيملر فإنه يتحدث مباشرة عن تدمير الأشخاص. فقد قال لجنرالاته في ٥ مايو ١٩٤٤ ، في سونتهوفن، ما يلى: « في هذا النزاع مع آسيا، ينبغي لنا أن نعتاد على نسيان قواعد اللعبة والأخلاقيات المتعارف عليها أثناء الحروب الأوروبية الماضية، رغم أنها عزيزة علينا وتتناسب مع عقليتنا».

ولكن هذه الوحشية لم تكن من نصيب معسكر واحد.

فقد طلب لكيفتون فاديمان، محرر مجلة نيويوركر الأسبوعية، في

عام ١٩٤٢ إلى الكتاب « خلق روح من الحقد الشديد ضد كل الألمان وليس فقط ضد زعماء النازى ».

وأضاف: والطريقة الوحيدة لكى يفهمنا الألمان هى قتلهم. وحتى بهذا فإنهم لن يفهموا».

وفي شهر أبريل ١٩٤٢، كتب يمتدح كتاب دى سال « إعداد الغد» ويشرح مفهومه العنصرى، فقال: إن العدوان النازى ما هو بفعل مجموعة من الأوغاد ولكن التعبير النهائى عن الغرائز العميقة للشعب الألمانى. وما هتلر إلا تجسيد لقوى أكبر منه». ووافق على اقتراح هيمنجواى القائل: إن الحل النهائى سيكون هو تعقيم النازى بالمعنى الجراحى للكلمة.

ولم تكن هذه الآراء بالآراء المنفردة فقد نشر الأب ويب في جريدة الديلى هيرالد اللندنية مقالا في أعقاب بيان هتلر في السبور تبالست، جاء فيه: « إن كلمة السر يجب أن تكون « القضاء عليهم »، ومن أجل ذلك تركيز علمنا على اكتشاف مفرقعات جديدة ومخيفة.. ورغم أن رجل الدين لا ينبغى له أن ينزلق إلى مثل هذه العواطف، إلا أننى صراحة لو استطعت، لمحوت ألمانيا من خريطة العالم. إنه جنس شيطانى كان لعنة على أوروبا طوال قرون».

ولحسن الحظ ثارت الاحتجاجات ضد مثل هذه الضلالات في إنجلترا حيث لا يمكن الخلط بين الشعب الإنجليزى وثقافته الرفيعة

وبين زعماء دمويين ممتلئين بالحقد والبغضاء، وهو ما ينطبق أيضا على ألمانيا وشعبها.

ومنذ عام ١٩٣٤، أعلن الزعيم الصهيونى فلاديمير جابوتنسكى. «إن مصالحنا اليهودية تحتم القضاء النهائى على ألمانيا، فالشعب الألمانى في مجموعه يمثل لنا خطرا كبيرا».

وقال تشرشل من جانبه في ١٦ مايو ١٩٤٠: «سنجوع ألمانيا. وسندمر مدنها وسنحرق محاصيلها وغاباتها».

[المصدر : بول بودوان، تسعة أشهر في الحكومة، ١٩٤٨، ص-٥٧].

وقال الوزير البريطانى اللورد فانسيتارت في عام ١٩٤٢، تبريرا لفظاعة الغارات البريطانية: «إن الألمان الطيبين وحدهم، هم الموتى الألمان؛ وعلى ذلك، فلتمطر السماء القنابل !».

وكتب تشرشل في يوليه ١٩٤٤ إلى رئيس أركانه الجنرال هيستنجز، مذكرة من أربع صفحات يقترح عليه فيها المشروع التالى:

«أود أن تفكر جديًا في مسألة الغازات الخانقة... وأود أن نبحث بهدوء نتائج استخدام الغازات الخانقة هذه... ولا ينبغى لنا أن نقف مكتوفى الأيدى بسبب مبادىء حمقاء»...

[المصدر: الإرث الأمريكى - عدد أغسطس - سبتمبر ١٩٨٥].

ولم يقف لا تشرشل ولا ترومان ولا ستالين في قفص الاتهام

كمجرمي حرب . كما لا يقف المنادون بأفظع الجرائم مثل تيودور كوفمان الأمريكي اليهودي الذى وجه في ١٩٤٢ نداء بالإبادة الفعلية ، ضمن كتابه : « يجب إبادة ألمانيا »، قال فيه : «إن الألمان لا يستحقون أن يحيوا » . وكذلك ما جاء في نداء الكاتب السوفيتي إيليا اهرنبورج عام ١٩٤٤ : اقتلوا ! اقتلوا فلا أبرياء لدى الألمان، لا بين الأحياء ولا بين من سيولدون ! » .

وهؤلاء أيضا لم يقفوا في قفص الاتهام ضمن المتهمين في نورمبرج ، كما لم يقف رؤساء دولهم الذين كانوا يحمونهم ويساعدونهم ولا المسئولون الإنجلو ـ أمريكان عن قصف مدينة درسدن الألمانية ، والذى أسفر عن ٢٠٠٠٠٠ من الضحايا المدنيين ، وذلك دون أدنى فائدة عسكرية ، لأن الجيش السوفيتي كان قد تجاوز هذه الأهداف . ولا ترومان بإلقائه قنبلتين ذريتين على هيروشيما ونجازاكى ومصرع ٣٠٠٠٠٠ من الضحايا المدنيين ، دونما ضرورة عسكرية لأن تسليم اليابان كان قد قرره الإمبراطور.

ولا بيريا وستالين ، على سبيل المثال ، اللذان ألقيا بمسئولية مذبحة كاتين على الألمان ، والتى قتل فيها الآلاف من الضباط البولنديين .

لقد كانت أساليب الإجراءات تنبثق عن نفس المبادئ (أو انعدام المبادئ) الخاصة باختيار المتهمين من بين المنهزمين وحدهم .

وهكذا جاء النظام الأساسى لهذه المحكمة :

المادة ١٩ : لن تتقيد المحكمة بالقواعد الفنية المتعلقة بإقامة الأدلة والبراهين . وهى ستتبع وستطبق بقدر الإمكان إجراءات سريعة .

● المادة ٢١ : لن تطلب المحكمة تقديم البراهين على الأعمال ذات الشهرة العامة ، وستعتبرها ثابتة وستعتبر كذلك كبراهين صحيحة الوثائق والتقارير الرسمية الصادرة عن حكومات الحلفاء .

هذا هو الوحش القانونى الذى ينبغى أن تؤخذ قراراته كقاعدة مسلَّم بصحتها وكمعايير لحقيقة تاريخية لا يمكن أن يمسها إنسان طبقا لقانون جيسو ـ فابيوس الصادر في ١٣ يوليه ١٩٩٠ (فى فرنسا) .

فهذا النص قد أضاف إلى قانون حرية الصحافة الصادر في ١٩٨١ ، المادة ٢٤ مكرر، التي تنص على ما يلى :

« يعاقب بالعقوبات المنصوص عليها في الفقرة السادسة من المادة ٢٤ (وهي بالحبس لمدة تتراوح بين شهر وسنة واحدة ، وبغرامة قدرها من ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠٠٠ فرنك ، أو بإحدى هاتين العقوبتين) كل من ينكر ، بإحدى الوسائل المنصوص عليها في المادة ٢٣ ، وجود جريمة أو أكثر من الجرائم ضد الإنسانية كما جاءت في المادة ٦ من النظام الأساسى للمحكمة العسكرية الدولية الملحقة باتفاق لندن بتاريخ ٨ أغسطس ١٩٤٥ ؛ والتى اقترفت سواء من طرف أعضاء في منظمة ظهر أنها منظمة إجرامية تطبيقا للمادة ٩ من النظام المذكور، أو سواء بواسطة شخص ثبتت إدانته في مثل هذه الجرائم من محكمة

فرنسية أو دولية .

وللمحكمة أن تأمر كذلك بالآتى :

١ ـ الإعلان عن قرارها بالشروط المنصوص عليها في المادة ٥١ من القانون الجنائى .

٢ ـ نشر هذا القرار أو إدراجه ضمن بيان بالشروط المنصوص عليها في المادة ١ ـ ٥١ من القانون الجنائى ، دون أن تتجاوز مصاريف النشر أو الإدراج الحد الأقصى للغرامة المستحقة » .

ولقد أثارت إجراءات محكمة نورمبرج اعتراضات حتى في صفوف القانونيين الأمركيين وعلى أعلى مستوى ، وهم قضاة المحكمة العليا ، بدءا بالقاضى جاكسون الذى كان رئيسا لمحكمة نورمبرج وفى ذلك يقول المؤرخ الإنجليزى دافيد أرفنج ، : « لقد شعر كبار القانونيين في العالم أجمع بالخجل من إجراءات نورمبرج . ولا شك أن القاضى روبيرت جاكسون ، الرئيس الأمريكى للادعاء ، كان يخجل من هذه الإجراءات . وقد اتضح ذلك من مذكراته الشخصية التى قرأتها .

أما القاضى فينرستروم ، من المحكمة العليا في الولايات المتحدة ، ورئيس إحدى المحاكم فقد أبدى امتعاضه واشمئزازه من جو المحاكمة وموقف المترجمين والمحامين ووكلاء النيابة . . بحيث إنه رفض قبول تعيينه وغادر ألمانيا فجأة وعاد إلى الولايات المتحدة . ونشر في جريدة شيكاغوديلى تريبيون الصادرة في ٢٣ فبراير ١٩٤٨ ،

اعتراضاته على التنظيم والإجراءات .

ووفقا للنظام الأساسى لمحكمة نورمبرج الذى ينص على أن تقارير لجان تفتيش الحلفاء تعتبر من القرائن ، فقد ووفق على التقرير السوفيتى بشأن كاتين ، والذى يتهم الألمان بقتل ١١٠٠٠ ضابط بولندى ، « كدليل إثبات صحيح » ، ولا يناقش من طرف المنتصرين .

وفي ١٣ أبريل ١٩٩٠ ، أعلنت الصحافة الدولية أن جريمة كاتين كان مدبرها بيريا والسلطات السوفيتية .

ولكى لا نحيد عن موضوعنا الأصلى : « الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل » ، سنعكف على بحث إحدى الأكاذيب التى سببت حتى الآن وبعد مضى ما يزيد على نصف قرن ، أضرارا شديدة فى عالمنا الحاضر ، وهى أسطورة الستة ملايين من الضحايا اليهود ، والتى أصبحت عقيدة تبرر وتضفى القداسة (وكما تقتضية عبارة الهولوكوست) على انتهاكات وابتزازات دولة إسرائيل في فلسطين ، وفي كل الشرق الأوسط ، وفى الولايات المتحدة ، وفي كل السياسة العالمية ، بوضعها فوق كل قانون دولى .

ولقد اعتمدت محكمة نورمبرج هذا الرقم رسميا ، وهو الأمر الذى ما انفك يستخدم منذ ذلك الحين للتلاعب بالرأى العام في الصحافة ، المكتوبة والمقروءة ، وفي الأدب والسينما ، وحتى في الكتب المدرسية .

غير أن هذا الرقم لا يستند إلا إلى شهادتين : شهادة هوتل وأخرى لويزليسنى (وهما من ضباط الأمن النازيين) وهاك ما أعلنه الأول :

« في أبريل ١٩٤٤ ، جرى حديث بينى وبين أدولف إيخمان الذى كنت أعرفه منذ ١٩٣٨ ، وذلك في شقتى ببودابست. . . وكان يعرف أنه يعتبر من مجرمى الحرب من طرف الحلفاء لمسئوليته عن قتل آلاف اليهود. وطلبت منه كم كان عددهم، فأجابنى رغم سرية العدد الشديدة، إنه طبقا للمعلومات التى يمتلكها فقد وصل إلى النتيجة التالية: نحو ٤ ملايين يهودى قتلوا في مختلف معسكرات الاعتقال، كما أن هناك مليونين ماتوا بوسائل أخرى ».

[المصدر: محاكمة نورمبرج، المجلد الرابع، ص ٦٥٧].

وأعلن الثاني :

« كان إيخمان يقول إن شعوره باقترافه مصرع خمسة ملايين شخص هو مصدر لسعادته ورضاه »[المصدر السابق].

وهاتان الشهادتان، كما يقول مولياكوف نفسه: « من الممكن الاعتراض على هذا الرقم الذى لا سند له كما يمكن اعتباره رقما مشبوها ».

[المصدر: مجلة تاريخ الحرب العالمية الثانية، أكتوبر ١٩٥٦].

وتذكر الصحيفة العبرية الصادرة في نيويورك بتاريخ ٣٠ يونيه ١٩٦٥ إنه في ذلك التاريخ، كان هناك ٣ ملايين و ٣٧٥٠٠٠ شخص

قـد قدمـوا طلبات للحصـول على « تعويضـات » نظير الخسـائر التى تكبدوها إبان سيطرة هتلـر. ونضيف أن الشهادة الرئيسية، وهى الشهادة الأكمل والأدق، كانت شهادة هوتل، عميل المخابرات.

[المصدر: المجلة الإنجليزية ويك اند، ٢٥ يناير ١٩٦١].

وتأكيدا منا لاعتراضات كبار القانونيين في المحكمة العليا للولايات المتحدة وغيرهم، على التشوهات القانونية لمحكمة نورمبرج، فسنذكر هنا فقط وعلى سبيل المثـال، انتهاكات القـواعد الثابتـة لإجراءات أى قضية حقيقية:

١ ـ إقامة الدليل على صحة النصوص المقدمة والتحقق منها.

٢ ـ تحليل قيمة الشهـادات والظـروف التى تم في ظلها الحصـول عليها.

٣ ـ البحث العلمى لسلاح الجريمة لإثبات استخدامه وآثاره.

أ ـ النصــوص:

تتألف النصـوص الأسـاسيـة، والتى تعتبر حـاسمـة للتـدليل على «الحل النهائى» من أوامر الإبادة التى تنسب إلى كبار المسئولين: هتلر وجورنج وهيدريش وهيملر، والتوجيهات الصادرة لتنفيذها.

أولا: توجيهات هتلر بشأن الإبادة.

فرغم الجهود التى بذلها المنظرون للإبادة الجماعية والهولوكوست،

فلم يوجد لها أثر. وكتبت السيدة أولجا ورمسر ـ ميجو في ١٩٦٨ ، تقول : كما أنه لا يوجد أمر خطى مكتوب بوضوح للإبادة بالغاز في أوشفيتز، فلا يوجد أيضا أى أمر بإيقافها في نوفير ١٩٤٤ » .

[المصدر : أولجاورمسر ـ ميجو، نظام المعسكرات النازية، باريس ١٩٦٨ ، ص ـ ٥٤٤ وص ـ ١٣] .

ويعترف الدكتور كيبوفي من مركز الوثائق في تل أبيب عام ١٩٦٠ : « لا توجد أى وثيقة ممضاة من هتلر أو هيملر أو هيدريش تتحدث عن إبادة اليهود. . . ولا تظهر عبارة « الإبادة » في خطاب جورنج الموجه إلى هيدريش بشأن الحل النهائى للمسألة اليهودية » .

[المصدر : ليوسى داوديفتيش، الحرب ضد اليهود، ١٩٧٥ ، ص ـ ١٢١].

وصرح ريمون أرون وفرانسوا فيرى (وهما من كبار المفكرين الفرنسيين) في موتمر صحفى عقد في فبراير ١٩٨٢].

« رغم البحوث المتعمقة ، لم يتم العثور مطلقا على أمر من هتلر بإبادة اليهود » .

[المصدر: والتى لاكير، السر الفظيع، ١٩٨١ ، ص ـ ١٩٠].

ووقع بعض المؤرخين على البيان التالى بإيعاز من فيدال ياكيه وليون بولياكوف : «(. . .) لا يجب التساؤل عن الكيفية التى كان من

الممكن بها تقنيا القيام بمثل هذه المجزرة الجماعية . لقد كانت ممكنة تقنيـا لأنها حـدثت . وهـذه هى نقطـة الانطلاق الـلازمـة لأى تحقيق تاريخى حول هذا الموضوع وعلينا أن نذكرّ بهذه الحقيقة بكل بساطة ، فلا نقاش ولن يكون هناك نقاش حول وجود غرف الغاز » .

وهذه الممنوعات الثلاثة ، أو المحرمات الثلاثة هى الحدود النهائية لأى بحث .

وهذا النص يعتبر بالفعل بداية تـاريخية في تأريخ التاريخ ، بوضعه مثل هذه الأوامـر الشرطيـة مسبقا أمـام أى بحث أو نقد لـلأحكام التى أصدرها المنتصرون .

ولكن التاريخ إذا أراد أن يحتـرم النظم الأساسيـة العلمية ، ينبغى أن يكون بمثـابة بحث دائم ، وتفنيد لكل ما نعتقـد أنه قد ثبت نهـائيا مثل قوانين نوتن .

وهاك مثال مشهور:

« لقد تـوخَّت اللجنة الدوليـة لاوشفيتز في نوفبـر ١٩٩٠ ، استبدال اللوحة التذكارية في اوشفيتيز والتى تشير إلى « ٤ ملايين من الضحايا » بأخـرى تحمل عبـارة « أكثـر من مليـون قتيل » . ولكن الـدكتـور جولدشتين ، رئيس اللجنة اعترض علىٰ ذلك » .

[المصـدر : جريـدة لـوسوار ، بـروكسل ، ١٩ ــ ٢٠ أكتوبـر ١٩٩١ ، ص ـ ١٦].

والواقع أن الدكتور جولدشتين لـم يعترض على ضرورة تغيير اللوحة القديمة، ولكنـه كان يرجو ألا تحمل اللوحة الجـديدة أى رقم، لعلمه أنه قـد يصبح من الضـرورى في زمن قصير إعـادة النظر مرة أخـرى في تخفيض الرقم المذكور.

وعلى هـذا فإن اللـوحـة المثبتـة على معسكـر بيـركينـاو، حملت التدوين التالى حتى عام ١٩٩٤.

« هنا وفـي الفترة ما بين ١٩٤٠، ١٩٤٥، عُـذِّب أربعة مـلايين من الرجال والنساء والأطفال وقتلوا بواسطة عمليات الإبادة الهتلرية ».

وبفضل مـا قامت بـه اللجنة الـدولية لمتحف الـدولة الـذى يرأسـه المـؤرخ فلاديسـلاف برتـوزيسكى، تعدل النص على النحـو التـالى والذي لا يبعد عن الحقيقة:

« ليصبح هذا المكان، الذى قتل فيـه النازيون مليوم ونصف مليون رجل وامرأة وطفل، معظمهم من اليهـود والقادمين من مختلف البلدان الأوروبية، وإلى الأبد صرخة يأس وإنذار للإنسانية ».

[المصدر: مقال لوك روزنفيج في جريدة لموند، ٢٧ يناير ١٩٩٥].

وهذا المثـال يبين لنا أن التاريخ، لكى يفلت من الإرهـاب الفكرى للمنادين بالحقـد والبغضاء، يقتضى إعادة نظر دائمـة. فإما أن يكون تعـديلى (أى قابل لإعـادة النظر فيـه وتعديلـه) وإما أن يكـون محض دعاية مقنعة.

ونعود الآن إلى التاريخ بمعناه الحقيقى ، فقد عولجت مسألة اليهود في برنامج الحزب القومى الاشتراكى (النازى) في المادة ٤ من البرنامج :

« لا يحق لأى شخص حيازة الجنسية الألمانية إلا من المواطنين الكاملى المواطنة . وهؤلاء المواطنون هم الذين يجرى في عروقهم الدم الألمانى ، دون تمييز عقائدى . وعلى ذلك ، فلا يمكن لأى يهودى أن يكون مواطنا كامل المواطنة » .

وفي المادة ٥ ، جاء ما يلى :

« من لم يملك الجنسية الألمانية لا يمكنه العيش في ألمانيا بصفة مضيف ، ويجب أن يخضع للتشريعات المعمول بها بشأن إقامة الأجانب » .

وجاء كذلك في المادة ٨ ، ضرورة إيقاف أى هجرة جديدة لغير الألمان وكذلك الطرد الفورى لغير الألمان الذين دخلوا ألمانيا منذ ٢ أغسطس ١٩١٤ . وهذه النقطة الأخيرة موجهة بشكل واضح ضد اليهود الشرقيين الذين وصلوا بأعداد كبيرة إلى الريخ أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها .

ونصت المادة ٢٣ على أنه لا يحق لليهود العمل في الصحافة ، وأكدت المادة ٢٤ على أن الحزب يكافح ضد « العقلية المادية اليهودية » .

أ ـ أوامر هتلر بشأن إبادة اليهود

كتب راؤول هيلبرج في كتابه « القضاء على يهود أوروبا » الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٦١ ، أن هناك أمرين للإبادة صدرا عن هتلر: أحدهما في ربيع ١٩٤١ (دخول روسيا) والآخر بعد عدة شهور من هذا التاريخ .

ولكن في عام ١٩٨٥ ، وفي الطبعة الثانية ، المنقحة ، حذفت جميع الإشارات إلى أوامر أو قرارات هتلر بشأن « الحل النهائى » بصورة منهجية .

[المصدر : هيلبرج يراجع نفسه حوليات سيمون فيزنتال ، (المجلد ٣ ، ١٩٨٦ ، ص ـ ٢٩٤).

ففى طبعة ١٩٦١ يذكر هيلبرج أن « الأمر كان شفويا » . أى أن الجنرال جوديل قال إن هتلر قال . . !

وكان هتلر ينادى في كتابه « كفاحى » برغبته في طرد اليهود من ألمانيا . واقترح ريبنتروب تجميعهم في مدغشقر التى كانت تابعة لفرنسا آنذاك .

وفي يوليه ١٩٤٠ ، أوجز المسئول عن الشئون اليهودية فرانز راد ، هذا التوجيه في العبارة التالية : « كل اليهود خارج أوروبا !» . وكان يتوقع لتحقيق « الحل النهائي » فترة أربع سنوات وإمكانيات ضخمة .

ب ـ خطاب جورنج إلى هيدريش في ٣١ يوليه ١٩٤١ .

طلب هيدريش من جورنج : « في ١٩٣٩ ، أعطيتنى الأمر باتخاذ التدابير المتعلقة بالمسألة اليهودية . فهل عليَّ الآن مد هذه المهمة التى أسندتموها إليّ لتشمل الأراضى الجديدة التى استولينا عليها في روسيا . . . »

وهنا كذلك ، لاشىء بخصوص قتل اليهود . والأمر لا يتعلق إلا بنقلهم جغرافيا ، وذلك وببساطة لمراعاة الظروف الجديدة .

فالحل النهائى إذن كان يكمن في تفريغ أوروبا من اليهود والإمعان في إقصائهم بعيدا حتى تسمح الحرب بوضعهم داخل جيتو خارج أوروبا (كمشروع مدغشقر) .

وافتراض لغة سرية وشفرية ، هو افتراض بلا سند ، لأن هناك وثائق واضحة للجرائم الأخرى ، ومنها الموت الرحيم ، وأمر قتل الكوماندوز البريطانيين ، وسحل الطيارين الأمريكيين في الشوارع دون محاكمة ، وإبادة أهالى ستالنينجراد من الذكور عند احتلالها . وعن هذه الجرائم جميعها ، فالوثائق موجودة ، في حين أنه بالنسبة لهذه الجريمة لا توجد لا الأصول ولا الصور ، ولا الأوامر أو التوجيهات اللازمة لتنفيذ هذه التعليمات الضخمة .

« في يناير ١٩٤٢ ، أبلغ رينهارد هيدريش ، رئيس الجستابو ، زعماء برلين أن الفوهرر قد قرر إجلاء كل اليهود نحو الأراضى الشرقية ،

مستبدلا بذلك عملية الإبعاد السابقة ».

وفي المـــذكـــرة التـى عممت في مـــارس ١٩٤٢ داخـل مكتب هيدريـش، أبلغ الوزراء أن يهود أوروبـا سيجرى تجميعهم فـي الشرق «انتظارا لإرسـالهم بعد الحـرب إلى أراضٍ نائيـة، مثل مدغشقـر، لكى تصبح وطنهم القومى . . »

ويذكر بولياكوف : « وكـان مشروع مدغشقر وحتى التخلى عنه، هو الذى كـان يطلق عليه الزعمـاء الألمان اسم « الحل النهـائى » للمسألة اليهودية .

[المصدر : بولياكوف ، محكمة القدس، باريس، ١٩٦٣، ص ـ ١٥٢].

ومن أجل الإبقاء على نظرية الإبادة الجسدية بأى ثمن، تطلب الأمر إيجاد ذريعة : « لقـد كانت عبارة الحل النهائى للمشكلـة اليهودية من العبارات التقليدية لـلإشارة إلى الخطة الهتلرية الراميـة إلى إبادة اليهود الأوربيين ».

[المصدر جيرالد ريتلينجر، الحل النهائي، ص ١٩].

وليس هناك مـا يبرر افتراض هـذه اللغة الشفريـة التى كانت تسمح لأى وثيقة بأن تفصح عما نريد أن نقوله . وهاك مثالان على ذلك :

الأول: خطـاب جـورنج المـؤرخ في ٣١ يـوليــه ١٩٤١، والـذى يستكمل فيه جورنج تعليماتـه إلى هيدريش : « استكمالا للمهمة التى أسندت إليكم بتـاريخ ٢٤ ـ ١ ـــ ١٩٣٩، أكلفكم بأن تعرضـوا علىّ

وبسرعة مشروعا إجماليا يتناول الإجراءات التنظيمية والتدابير الملموسة والمادية لتحقيق الحل النهائى الذى نتطلع إليه للمسألة اليهودية في منطقة النفوذ الألمانى في أوروبا » .

[المصدر: هيلبرج، المرجع السابق، ص ـ ٤٠١ (الطبعة الثانية)] .

وبإيجاز فإن تعليمات جورنج إلى هيدريش لاتعدو أن تكون سوى تطبيق ما كان يطبق في ألمانيا على أوروبا نظرا للظروف التى استجدت . ما لم تفسر تفسيرا تعسفيا طبقا لمخطط مسبق . والهدف في حد ذاته هو دون شك هدف غير إنسانى وإجرامى ، ولكنه لا يشير في أى لحظة إلى فكرة« الإبادة » التى ألصقها له المدعى العام في نورمبرج روبرت كمبنر عندما أعلن : « بهذه السطور ، كلف هيدريش وأعوانه رسميا بالقتل القانونى (لليهود) » .

وقد اعترض جورنج على الترجمة الإنجليزية للعبارة الألمانية «الحل الشامل » بعبارة « الحل النهائى » ، مما حدى بالمدعى العام جاكسون أن يعترف بالتزوير، وإرجاع العبارة إلى أصلها الحقيقى . وهذه الواقعة التى دمرت نظرية بأكملها، لم تتحدث عنها الصحافة بكلمة واحدة .

- وفي ١٠ فبراير ١٩٤٢ ، كتب مسئول وزارة الخارجية الألمانية رادماخير في رسالة رسمية يقول : «لقد أتاحت لنا الحرب ضد الاتحاد السوفيتى الحصول على أراض جديدة للحل النهائى . وعلى ذلك ، فقد

قرر الفوهرر نقل اليهود نحو الشرق لا نحو مدغشقر. ومن ثم، لم تعد هناك حاجة لاختيار مدغشقر للحل النهائى ».

[المصدر: ريتلنجر، الحل النهائى، ص ـ ٧٩].

والمثال الثانى على هذا التعبير التعسفى لمعانى الكلمات لتبرير قضية ما، هو الخاص بمؤتمر وانسى الكبير، الذى انعقد في برلين في ٢٠ يناير ١٩٤٢.

ومنذ بداية المؤتمر، لم ينفك هيدريش يذكّر بأنه قد تم تعيينه في «منصب المسئول المكلف بإعداد الحل النهائى للمسألة اليهودية في أوروبا » وبأنه « سيكون من الآن فصاعدا المسئول عن مجموع الإجراءات اللازمة للحل النهائى للمسألة اليهودية دون اعتبار للحدود الجغرافية.

ويلخص هيدريش بعد ذلك السياسة المعادية لليهود التى تمت حتى ذلك التاريخ في الآتى:

أ ـ طرد اليهود بعيدا عن الدوائر الحيوية للشعب الألمانى.

ب ـ طرد اليهود خارج الحيز الحيوى للشعب الألمانى.

نص مؤتمر وانسى (٢٠ يناير ١٩٤٢)

« أثناء الحل النهائى سيسير اليهود تحت إدارة مناسبة نحو الشرق للاستفادة بهم في العمل. وسيتم التفريق بينهم بحسب الجنس. وسيرحل اليهود القادرون على العمل في طوابير ضخمة إلى مناطق

الأعمال الكبرى لبناء الطرق، ولا شك أن عددا كبيرا منهم سيموت بواسطة الانتقاء الطبيعي.

ومن سيظل منهم على قيد الحياة في نهاية المطاف ، فإنهم سيشكلون دون أدنى شك العنصر الأقوى وينبغى معاملتهم طبقا لذلك لأنهم يمثلون الانتقاء الطبيعي ، ينبغى اعتبار تحريرهم بمثابة الخلية المولدة للتطوير اليهودى الجديد. (كما توضحه تجارب التاريخ...).

ويعد بروتوكول وانسى بمثابة المحضر الحرفى للمؤتمر الذى عقد في الفترة من ٢٠ يناير ١٩٤٢ ، واشترك فيه الوزراء المهتمون إداريا بحل المسألة اليهودية ورؤساء الإدارات المكلفة بالتنفيذ. ويتعلق الأمر بنص لم ترد فيه أبدا عبارة غرف الغاز أو الإبادة، ولكن نقل اليهود فقط إلى الشرق الأوروبى.

وهذا المحضر له كل خصائص الوثيقة المزورة والمزيفة إذا ما رجعنا إلى صورته التى نشرت في كتاب السيد روبرت كمبنر، فلا خاتم ولا تاريخ ولا توقيع ، والحروف كتبت على آلة كاتبة عادية وعلى ورق من القطع الصغير.

وعلى كل حال، فلا يوجد بها أى إشارة إلى غرف الغاز.

وفضلا عن ذلك ، فإن مؤتمر وانسى المنعقد في ٢٠ يناير ١٩٤٢ ، والذى ادعى طوال أكثر من ثلث قرن أن قرار « إبادة » يهود أوروبا قد

اتخـذ أثناء انعقـاده، اختفى تمامـا من أدبيات أشـد أعداء المطـالبين بمراجعة التاريخ مند عام ١٩٨٤ . فقـد تخلوا صراحة عن هذا التفسير وراجعوا تـاريخهم حول هذه النقطة أثنـاء انعقاد مؤتمر شتـوجارت في مايو ١٩٨٤ .

[المصدر: إيراهارد جيكل ويورجون روهـور، قتل اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية، ١٩٨٥ ، ص ـ ٦٧].

وقد وصف ياهودا بور في جريدة أخبار اليهود الكنديين الصادرة في ٣٠ يناير ١٩٩٢ ، أن تفسير وانسى كان « تفسيرا أحمق » .

وأشار أحـد المؤرخين المتشـددين وهو جـان كلود بـريساك إلى أن عبارة « الإبادة » قد نقحت وصارت « طردًا » .

وبخصوص أن مسألة « الحل النهائى » للمشكلـة اليهودية وإنها لن تحل إلا بعد الحـرب، فإن « الملف البنى » لصيف عـام ١٩٤١ يشهد على ذلك. فقـد جـاء في الفقـرة المعنونـة « تعليمـات لحل المسألـة اليهـوديـة » ما يلي : « لا يجب أن تتخـذ أي إجـراءات بشأن المسألـة اليهـودية في الأراضـى المحتلة في الشـرق إلا بعـد الحرب، وستجـد المسألة اليهودية في أوروبا حلا عاما » .

[المصدر: هنرى موزى، اضطهاد اليهود في البلدان الشرقية، ١٩٤٩].

ولقد كان هتلر في السنتين الأخيرتين للحرب وبعد ستالينجراد ، في وضع ميئوس منـه، فالحلفـاء يدمرون مـراكز الإنتـاج الحربى بقصفهم

لها، ويحطمون طرق المواصلات. واضطر إلى حشد أعداد أخرى للعمل بالمصانع. فكان يعمل في مونوفيتز بالقرب من أوشفيتز ١٠٠٠٠ معتقل، و ١٠٠٠٠٠ عامل مدنى، ١٠٠٠ سجين حرب بريطانى.

وفي ٢٥ يناير ١٩٤٢، وجه هيملر تعليماته إلى المفتش العام لمعسكرات الاعتقال، جاء فيها: «استعد لاستقبال ١٠٠٠٠٠ يهودى ... وستسند مهام اقتصادية كبيرة إلى معسكرات الاعتقال في الأسابيع القادمة».

وفي مايو ١٩٤٤، أمر هتلر باستخدام ٢٠٠٠٠٠ يهودى كعمال في البرنامج الإنشائى «جاجر» ومنظمة تودت. فصدر أمر فى ١٨ نوفبر ١٩٤٣. تمنح بمقتضاه علاوة للمعتقلين - حتى اليهود منهم - الذين يبرزون في العمل.

[المصدر: متحف أوشفيتز، ١٩٦٢، ص-٧٨].

ولا يتعلق الأمر هنا بالجنون أو الخرافة، بل على العكس بواقعية مريرة وقاسية. ولكن هذا وفي المقام الأول يشكل دحضا إضافيا لأطروحات «الإبادة».

ب- الشهادات

أثناء محاكمة أوشفيتز التى جرت فى فرانكفورت في الفترة من ٢٠ ديسمبر ١٩٦٣ وحتى ٢٠ أغسطس ١٩٦٥، داخل مسرح كبير واسع، وهو ما يليق بعملية سياسية مثيرة، ورغم هذا الإخراج القضائى

فإن محكمة الجنايات لم تستطع تفادى الاعتراف بأنها لا تملك سوى عناصر واهية لدعم حكمها .

« كان ينقص المحكمة معظم وسائل المعلومات تقريبا التى توضع عادة تحت تصرف محاكمة جنائية عادية حتى يتسنى تشكيل صورة أمينة للوقائع كما حدثت فعلا أثناء الجريمة . فكان ينقصها جثث الضحايا ، وتقارير التشريح ، واستنتاجات الخبراء بشأن أسباب الوفاة ، وكان ينقصها الآثار التى تركها المتهمون ، وسلاح الجريمة ، . . إلخ ولم يتم التحقق من الشهادات إلا في حالات نادرة » .

[المصدر: الصفحة ١٠٩ من حيثيات الحكم] .

وسلاح الجريمة كان مع ذلك ، وطبقا للمدّعين هى « غرف الغاز » ، وهاهم القضاة لا يجدون لها « أثرا » ! .

ولكن كان يكفى أن يكون الأمر معروفا للكافة حتى لا يشكك فيه أى إنسان وإلا ذهب هو نفسه إلى الجحيم .

وحتى عام ١٧٥٧ ، كان من المعروف للكافة أن الشمس تدور حول الأرض . . وكانت هذه حقيقة ثابتة ! .

وكتب أحد القانونيين الأمريكان الذين أرسلوا إلى « داخاو » بعد أن أصبح معسكرا أمريكيا ومركزا للمحاكمات ضد جرائم الحرب ، يقول :

« لقد عشت في داخاو طوال ١٧ شهرا بعد الحرب كقاضي عسكرى

للـولايـات المتحدة، وأستطيـع أن أشهد أنـه لم يكن هنـاك أى غـرف للغاز. وما يعرض على الزوار يقدم بطريقـة خاطئة على أنه غرفة للغاز، مع أنـه محـرقـة لجثث المـوتى » ولم يكن هنـاك أى غـرف للغـاز في ألمانيا. ويقولون لنا إنـه كان في أوشفيتز غرف للغاز، ولكننا لـم نحصل على إذن من السلطات الـروسية التي كانت تشرف على هـذه المنطقة، لزيارتها . . كما أنهم يستخدمون الأسطورة القديمة للدعاية بأن ملايين اليهود قـد قتلوا. وأستطيع أن أأوكد بعـد ٦ سنوات على انتهـاء الحرب في ألمانيا والنمسا، أنه كان هنـاك الكثير من اليهود الذين قتلوا، ولكن رقم المليـون لم يتم بلـوغه أبـدا، وأعتقـد أننى مؤهـل أكثر من غيـرى للحديث عن هذا الموضوع».

[المصدر: ستيفن بنتر، جريدة زائر الأحد، ١٤ يونيه ١٩٥٩، ص ـ ١٥].

ونظرًا لانعـدام أى دلائل خطية ، ووثائق لا يـرقى إليها الشك، فإن محكمة نورمبـرج قد قامت على « شهادات » إن الفـارين الذين شهدوا على وجـود غرف الغاز قـاموا بـذلك ليس على أسـاس ما شـاهدوه ، ولكن على أساس ما سمعوه.

والشـاهـد الرئيسى الـذي جيء بـه « لإثبـات » نظريـة المنتصـرين المرتدين لباس القضاة، كان رودولف هيس، قائد معسكر أوشفيتز.

وكان الموجـز الذى أدلى به عند إلقاء القبض عليـه، والذي قامت عليـه اعترافـاته في نـورمبرج، يستجيـب تمامـا لما كـانت تنتظره منـه

المحكمة .

وهاك اعتـرافه الـذى أدلى به بعد حلف اليميـن ووقع عليه رودولف هيس في ٥ أبريل ١٩٤٦ :

« تـوليت قيـادة أوسفيتـز حتى أول ديسمبـر ١٩٤٣ ، وأعتقـد أن ٢٥٠٠٠٠٠ ضحية قـد أعدموا أو أبيـدوا بالغـاز أو الحرق ، وأن نصف مليون آخرين قـد ماتوا من الجوع أو المـرض ، وبهذا يصل عدد القتلى إلى نحو ٣٠٠٠٠٠٠ ، وكان الحل النهائى للمسألة اليهودية يعنى إبادة كل يهود أوروبـا ، وقد تسلمت أمر إعـداد الإبادة في أوشفيتز في يـونيه ١٩٤١ . وفي ذلك الوقت كان هناك ثلاثـة معسكرات أخرى للإبادة في الحكومة العامة هى : بلزيك ، وتربلينكا ، وولزيك » .

فكيف بـالله تم تسجيل هذه « الشهـادة الهـامة » دون التحقق منهـا مسبقا؟

ويشـرح هيس نفسـه ذلك قـائلا : كتبت الاعتـرافـات الأولى تحت إشراف السلطات البولندية التى اعتقلتنى .

وفي كتـاب السيـرة الـذاتيـة لـرودولف هيس جـاء مـا يلى : « أثنـاء استجوابى الأول ، انتـزعت الاعترافـات منى بضربى . ولا أعـرف مـا فى هذا التقرير رغم أننى قد وقعت عليه » .

ولم تتأكد عمليـات التعذيب التى تعرض لهـا هيس للحصول على « أدلة » إلا في عام ١٩٨٣ ، عنـدما كتب روبرت بتلر كتـابه عن « فيالق الموت » ، والـذى جاء فيه : « لدى إلقـاء القبض عليه ، ضرب ضـربا

مبرحا إلى درجة أن ضابط الصحة تدخل بإلحاح لدى الكابتن قائلا له : قل لــه أن يـوقف هــذا الضـرب وإلا فـإننـا لن نحصل إلا على جثــة هامدة!».

محاكمة أوشفيتز

إن مضير المتهم الرئيسى وهو آخـر قائد لمعسكر أوشفيتز، ريتشارد باير، الذى تـوفى قبل بدء المحاكمة، جدير بالاهتمـام، فقد تم توقيفه في ديسمبر ١٩٦٠ بالقرب من هامبورج حيث كان يعمل ويعيش. وفي يونيه ١٩٦٣ مات في السجن في ظروف غامضة.

وطبقا لمصادر عديدة. رفض باير بعناد إثبات وجود غرف الغاز في القطاع الذى كان يشرف عليه.

ويقرر محامى نورمبرج، ابرهارد انجلهاردت إن باير قد دُسّ له السم أثناء التحقيق.

والمثـال الثـانــى : تقـرير جرشـتين، أحـد ضبـاط النازى وهــو التقـرير الـذي رفضت محكمة نورمبرج العسكـرية الأخذ بـه كدليل في جلسة ٣٠ ينـاير ١٩٤٦ لعدم جديتـه وما جاء فيـه من تضليل، والذى استخدمه جزئيًا النائب العـام الفرنسى ديبوست، ثم استخدم بعد ذلك أثناء محاكمة إيخمان في القدس في ١٩٦١.

وطبقًا لهـذا «الشـاهد» فـإن عدد الضحـايـا بلغ ٢٥ مليـونًـا من الضحايا! (٦٠٠٠٠ يـوميًا في المعسكرات الثلاثة بيلـزيك وتريبلينكا وسوبيبور).

ورأى فضلا عن ذلك من ٧٠٠ إلى ٨٠٠ شخص مكدسين وقوفًا في غرفة مساحتها ٢٥ مترا مربعا (أى أكثر من ٢٨ في المتر المربع !)

والمثال الثالث : وكيما تتمسك بالشهود المشهورين ، نذكر الدكتور ميكلوس نيسزلى ، الطبيب المجرى ، الذى اعتقل في أوشفتيز، وهو يقول عن غرف الغاز إن طولها ٢٠٠ م ، بينما الوثيقة المقدمة لمحكمة نورمبرج تقول إن مساحاتها كانت ١٢٠م٢ أو ٤٠٠م ٢ أو ٥٨٠ م٢ ، أى ٥ , ١ × ٢م أو ٩٠ , ٢م . وهو يؤكد كذلك أنه عند وصوله إلى المعسكر في أواخر مايو ١٩٤٤ ، كانت الإبادة بالغاز قد دامت منذ أربع سنوات ، مع أن وثيقة نورمبرج رقم ٤٤٠١ تشير إلى أن طلبات المحارق جرت في أغسطس ١٩٤٢ ، والوثيقة ٤٤٦٣ تقول إنها لم تكن جاهزة إلا فى ٢٠ فبراير ١٩٤٣ .

وفي أغسطس ١٩٦٠ ، أعلن معهد التاريخ المعاصر فى ميونخ للصحافة ما يلى : « لم تستكمل غرف الغاز في داخاو ولم توضع موضع التنفيذ أبدا . . . وإن الإبادات الجماعية لليهود بالغاز بدأت في ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ وفي مناطق محدودة من بولندا المحتلة فقط ، وليس ألمانيا بأى حال من الأحوال » .

[المصدر : دى زيت ، ١٩ أغسطس ١٩٦٠] .

أمثلة أخــرى

قال سوكل (أحد المتهمين الرئيسيين) في جلسة ٣٠ مايو ١٩٤٦ لمحكمة نورمبرج ما يلى :

« أقـر بأن تـوقيعي يظهـر في هذه الـوثيقـة. وأطلب من المحكمـة السماح لـي بأن أشرح كيفيـة الحصول على هذا التـوقيع. لقد قُـدمت هذه الوثيقة إليّ في شكلها النهائي فطلبت الإذن بقراءتها ودراستها حتى أقرر مـا إذا كان عليّ أن أوقعها. ولكن رفـض طلبي. . . ثم دخل أحد رجال البوليس البـولنديين أو الروس وقال: « أين أسـرة سوكل؟ سنأخذ سوكل معنـا، أما الأسرة فستسلم فـي الأراضي الروسية». وأنـا والد ١٠ أطفال، ففكرت في أسرتي ووقعت على الوثيقة ».

●●●

ومن بين شهادات مجرمي الحرب، فإن شهادة الجنرال أوهلندورف تعتبر من الشهادات المعبرة بشكل خاص. فقـد كان يدير الجماعات المكلفة بإعـدام المفوضين السيـاسيين في جنوب روسيـا، وأعلن أثناء المحاكمة الدولية العسكريـة أنه قد تلقى أوامر شفوية لكي يضيف إلى وظـائفه وظيفـة إبادة اليهـود باستخـدام الشاحنـات المجهزة بمعـدات الموت، بما في ذلك النساء والأطفال. وجـاءت شهادته في المحاكمة الثانية مختلفة تمامًا، وتراجع عن تصريحاته السابقة، واعترف بأنه قتل عـددًا من اليهود والغجـر ولكن في إطـار المعركـة ضد العـدو، وليس بمـوجب خطـة محددة لإبـادة اليهـود والغجـر، كما اعتـرف بأنـه قتل ٤٠٠٠٠ شخص وليس ٩٠٠٠٠ كما قال في السابق.

ولم ينبس المؤرخـون النقاد بكلمة واحـدة لدحض هـذه الأقاويل، ولم تصـدر عنهم أيـة منـاقشة علميـة معـارضـة، ولكن فـرض عليهم

الصمت والاضطهاد.

وطالما استمر هذا الاضطهاد وهـذا القمع تجاه البحوث الانتقادية، وتـواصل على العكـس تـدفق التمـويل الـوافـر والإشـادة الإعـلاميـة بـالمـدافعين عن هذه المحـرمـات، فلن ينمحى الشك والأرتيـاب من ذاكرتى.

ولقد مررت بهذه التجربة منـذ ١٤ عامًا، ومنذ محاكمة ١٩٨٢ التى رفعتهـا ضـدى « ليكـرا » لأننى أدرجت حـرب لبنـان في إطـار منطق الصهيونية السياسية، ورغم أن الدعوى قد رفضت وحكم على « ليكرا» بـالمصاريف في محكمـة الـدرجة الأولـى وفي محكمة النقض. فقـد اضطـر نـاشر كتـابى « الشأن الإسـرائيلى » الـذى صـدر عن دار نشـر بابيريس فى ١٩٨٣، إلى إعلان إفلاسه فورًا. كما لم يجر توزيع كتابى « فلسطين أرض الرسالات الإلهية » الذى أصدرته دار نشر الباتيروس في باريـس عام ١٩٨٦، تـوزيعًا عاديًـا. فالمكتبـات التى عرضتـه تلقت تهـديـدات بتحطيم واجهـاتهـا. وعـادت معظم النسخ إلى النـاشـر، واختفى تـوزيعـه تمامًـا. وحتى هـذا الكتـاب « الأسـاطير المـؤسسـة للسيـاسـة الإسـرائيليـة» فلن يسلم من الحملـة المسعـورة للصحـافـة الفرنسية، ولذلك سأضطر إلى نشره على نفقتى الخاصة في فرنسا، مع أن هـذا الكتاب قـد تـرجم ويجرى نشـره في إيطـاليا وألمـانيـا وتركيـا والولايات المتحدة وحتى روسيا.

فهـذا الصمت وهـذا الاضطهـاد، وعمليـات القمع ضـد التـاريخ

الانتقادى للجرائم الهتلرية ترتكز على حجج مشينة وكاذبة ، وهى تدليل على أن الجرائم الضخمة التى ارتكبها هتلر حيال اليهود، وحيال كل أعدائه من الشيوعيين الألمان أو السلاف ، ولم تكن تحتاج إلى أى أكذوبة للكشف عن فظاعتها ، وأن الحديث عنها انتقاديًا إنما هو في نظر أعداء التاريخ الانتقادى بمثابة تبرئة هتلر أو التخفيف من حدة جرائمه ! .

فالتدليل على أن جرائم النازى لم تقتصر إلا على اليهود وحدهم وأنها خلّفت عشرات الملايين من القتلى في الكفاح ضد الفاشية، هو « عنصرية » تشجع على التميز والحقد العنصريين !

ولمقاومة ظاهرة الحقد ضد الباحثين الانتقاديين، فإننا اليوم نسعى إلى إضافة عناصر جديدة بمصادرها ومراجعها إلى هذا الملف على أمل أن تؤدى إلى قيام مناقشة صريحة حول الوقائع الموضوعية لهذا الماضى دون دفعهم مسبقا بالتحيز أو إجبارهم على الصمت. ولا يمكن الإعداد للمستقبل مع مواصلة مشاعر الحقد وتغذيتها بالأكاذيب .

ونقد الشهادات المحققة تاريخيًا والدراسات العلمية التى تسمح بمنح الرأى العام إمكانية التفكير في جرائم الأمس للتحيلولة دون حدوثها غدًا، هو التزام أخلاقى بقدر ما هو التزام علمى .

وحتى الآن ، لم يقدم حتى للفنانين الكبار من ذوى النوايا الطيبة ، إلا الأرقام التعسفية والخاطئة . وكم شاهدنا من الأفلام الرائعة التى

شوّهت بذكر الرقم التعسفى للضحايا اليهود في لوشفيتزا . وفي مقابل ذلك ، ما شهدناه من الأفلام بعد التحرير التى تشيد بمن حاربوا ضد النازى ، مثل « المعركة ضد الماء الثقيل » الذى يعالج الاكتشاف الحاسم لجوليو كورى وفريق عمله لاستخراج المياه الثقيلة في النرويج لمنع وصولها إلى هتلر حتى لا تتاح له فرصة استخدامها في صنع القنبلة الذرية . ونفس الشيء بالنسبة لفيلم «معركة السكك الحديدية » الذى يوضح الكيفية التى خرّب بها عمال السكك الحديدية طرق المواصلات الألمانية لشل حركة تجميع الجيوش الألمانية الغازية . وعلى النقيض من هذه الأفلام ، فكم من مرة أعادوا علينا كل أسبوع عرض أفلام مثل « الخروج »، و « الهولوكوست »، و « الإبادة »، وغيرها من الشرائط المرواة برومانسية تفيض لها الدموع !

وفيلم الهولوكوست هذا هو أكبر فيلم ساهم فى التلاعب بالرأى العام العالمى والسيطرة عليه ، وهو ما يعتبر جريمة ضد الحقيقة التاريخية ! .

[المصدر: لبيراسيون، ٧ مارس ١٩٧٩].

وساهمت الرواية في هذا الخداع والمخاتلة . وصدرت مؤلفات مثل « أيام موتنا» لدايفيد روسيه ، الذى جمع فيه بأسلوب روائى بارع كل ما هو مبتذل وتافه لتشكيل قالب أدبيات معسكرات الاعتقال .

وحتى مارتن جراى ، في كتابه « باسم كل أبناء جلدتى » والذى

استعان في كتابته بأحد الكتاب الفرنسيين الكبار لوصف معسكر لم تطأه قدماه أبدًا . وابتداء من المحفوظات المزيفة لوزارة قدماء المحاربين التى « اكتشفها » سيرج كلارسفيلد، وحتى الرؤيا القيامية الخاطئة لإيلى فينزل (الحائز على جائزة نوبل) الذى يقول إنه « رأى بعينه » لهبا ضخمًا يصعد من حفرة في الهواء الطلق « حيث كانوا يلقون فيها بصغار الأطفال » ! .

[المصدر: إيلى فينزل، أقوال أجنبى، باريس ١٩٨٢ ، ص ـ ١٩٢].

وذروة هذه الأدبيات الرومانسية ، هو كتاب « يوميات آن فرانك » الذى حقق أحسن المبيعات عالميًّا ، (وآن فرانك فتاة يهودية كانت معتقلة في أحد المعسكرات) . وفى هذا الكتاب المؤثر تحل الرواية محل الواقع ، ومرة أخرى تختفت الأسطورة في ثياب التاريخ .

ويقول المؤرخ الإنجليزى دافيدا رفنج عن هذا الكتاب : « لقد وافق والد آن فرانك أخيرًا والذى راسلته عدة سنوات، على إخضاع أصول كتاب « اليوميات » للفحص المعملى وهو ما أطالب به دائما عندما يكون هناك اعتراض على وثيقة ما » .

وكان المعمل الذى فحصت فيه أصول الكتاب هو معمل البوليس الجنائى الألمانى في فيسبادن . وكانت النتيجة التى توصل إليها المعمل هى أن جزءا من يوميات آن فرانك كتب بقلم جاف (وهذا النوع من الأقلام لم ينزل الأسواق إلا في عام ١٩٥١ ، في حين أن آن فرانك قد توفيت في عام ١٩٤٥) .

ويستطرد دافيدارفنج : وكان استنتاجي بشأن يوميات آن فرانك، هو الجزء الأكبر منه كتبته حقيقة فتاة يهودية في العاشرة من عمرها. وتولى أباها أوتو فرانك أمر هذه النصوص بعد موت ابنته المأساوى من جراء التيفوس داخل معسكر الاعتقال. وقد قام الأب وأشخاص آخرون لا أعرفهم بتصحيح « اليوميات » لإعطائها شكلاً صالحًا للبيع لإثراء الوالد ومؤسسة آن فرانك في آن واحد.

أما أنه وثيقة تاريخية، فهذا الكتاب ليس له أية قيمة لأن النص قد شُوه وحُرّف ».

وهذه البضاعة الإبادية لا تسخدم إلا شهادات تشير بطرق مختلفة إلى قتل الضحايا بالغاز، دون أن يوضحوا لنا أبدًا طريقة تشغيل غرفة غاز واحدة (والذى أثبت لوختر استحالة ذلك ماديًا وكيميائيًا) ، أو شاحنة واحدة من تلك الشاحنات التى استخدمت بطريقة انبعاث الديزل منها، كغرف غاز متنقلة.

جـ- سلاح الجريمة :

لو انطلقنا من وجهة النظر الموضوعية المفروضة في محاكمة جنائية، فسيكون من الأهمية بمكان سماع أقوال الخبراء بشأن عدد كبير من الأسئلة، حتى ولمجرد تكوين فكرة بخصوص مصداقية عدد كبير من الشهود وكذلك بعض من « الوثائق ». ونستأذن في طرح عدد من هذه الأسئلة :

ـ كم من الـوقت يجب أن يمر حتى يتفاعل الغاز زيكلـون ب، وما هى الكيفية التى كانت تظهر بها آثاره؟

ـ كم من الوقت يظل الغاز فعالاً ونشطا في مكان مغلق (سواء بدون تهوية، أو بتهوية لاحقة للاستعمال مباشرة)؟

ـ هل كان مـن الممكن كما يـؤكـدون، الدخـول دون كممـاة إلى المواقع المشبعة بغاز زيكلون ب، بعد نصف ساعة فقط من استخدام هذا الغاز؟

ـ هل كـان من الممكن حرق الجثث بالكـامل في ٢٠ دقيقة داخل محرقة؟

ـ هل كانت المحارق تستطيع أن تعمل ليل نهار دون توقف؟ .

ـ هل من الممكن حـرق جثث بشريـة في حفر عمقها عـدة أمتار، وفي حالة الإثبات، في كم من الوقت؟

ولكن وحتى الآن لم تصدر أى وثيقة إثبات .

ونطرح هنا مثالين اثنين :

● المثال الخاص « بغرف الغاز المتنقلة » بواسطة الشاحنات .

● والآخر خاص بالصابون المصنـوع من الدهن البشري . (وأكذوبة استعماله بالفعل أثناء الحرب العالمية الأولى) .

[المصدر : الديلى تلجراف، لندن، ٢٢ مارس ١٩٤٦ ، ص ـ ٥].

وقد انتشرت قصة عمليات الإبادة « بغرف الغاز المتنقلة » والمؤلفة من الشاحنات التى أبيد فيها آلاف الناس بتوجيه مخارج الديزل نحو الداخل، ولأول مرة لدى الرأى العام الغربى، عندما صدرت في جريدة النيويورك تايمز بتاريخ ١٦ يوليه ١٩٤٣، الصفحة السابعة. (وحتى ذلك الحين لم يتناول هذا الموضوع سوى الصحافة السوفيتية).

وهنا أيضًا ، فإن سلاح الجريمة (وهو مئات أو آلاف الشاحنات المجهزة لعمليات القتل هذه) قد اختفى. ولم تظهر واحدة منها في أي محاكمة كدليل إثبات.

ويلاحظ كذلك أن خطة « الإبادة » كان مقدرًا لها أن تظل سرًّا مطلقا كما قال هيس، فمن الغريب أن يعلم به آلاف سائقى الشاحنات وأعوانهم الذين تسلموا الضحايا (دون أمر رسمى) وأخفوها بطريقة سحرية مع احتفاظهم بهذا « السر الفظيع ».

وروج فيزنتال لخرافة « الصابون البشرى » في مقالاته المنشورة عام ١٩٤٦ في جريد الطائفة اليهودية النمساوية درنيوفنج (الطريق الجديد)، كتب يقول: لقد سمعت العبارات المخيفة « النقل من أجل الصابون » لأول مرة في أواخر عام ١٩٤٢. وقد تم هذا في الحكومة العامة (لبولندا) وفي المصنع الذى كان كائنا في جليسى ، في بلزيك. ومن أبريل ١٩٤٢ وحتى مايو ١٩٤٣، استخدم ٩٠٠٠٠٠ يهودى كمواد أولية في هذا المصنع». وأضاف أنه بعد تحويل الجثث إلى موادها الأولية، استخدمت الباقيا الدهنية لإنتاج الصابون». ثم

قال : ولا يمكن للعلم المتمـدن أن يتصور سرور النازى بهـذا الصابون وفرحة زوجاتهم به ، هذا الصابون يحمل الحروف **RIF** وهو رمز على «مكتب الرايخ للتمـوين بالمواد الـدهنية » وقرأ البعض هذا الـرمز خطأ على أنه **RTF** ، أى « دهن يهــودى صـافى » وبعـد ذلـك انتشـرت الإشاعة كالريح .

وتوجد ثلاث وثـائق قد تسمح لو نوقشت بجدية وعلنًـا ، بوضع حد للجـدل بشأن « غـرف الغـاز » وهى : « تقــريـر لـوشتـر » (٥ أبـريل ١٩٨٨) ، ومعاينة كراكوفى المضادة بتاريخ ٢٤ سبتمر ١٩٩٠ ، ووثيقة جـرمار رودولف (١٩٩٤) ، لأنهـا هى الوحيـدة التى تكشف عن نهج علمى وموضـوعى ، وتتضمن تحليل العينات المأخـوذة على الموقع ، مما يتيح التحليل الكيميائى .

والـزيكلون ب ، المصنـوع من حامـض السيانيـدر ، هو الـذى زعم أنـه . . قتل عددا كبيـرا من المعتقلين بالغـاز . وهو عـادة ما يستخـدم لتطهيـر المـلابس أو الأدوات التى يخشى منهـا أن تنشـر الأوبئـة ، ولا سيما التيفـوس ، وقد استخدم ابتـداء من الحرب العـالمية الأولى لأول مرة ، ولكنـه استعمل بعد ذلك لتنفيذ الإعدام في أحـد المحكوم عليهم بالإعدام في أريـزونا عام ١٩٢٠ . ثم استخدمته ولايات أمـريكية أخرى لنفس الغـرض ، ولا سيمـا في كـاليفـورنيـا وكـولـورادو والمـاريـلانـد والمسيسيبى ، وميسورى ، ونيفادا ، ونيومكسيكو ، وكارولينا الشمالية .

[المصدر : تقرير لوشتر (رقم ٩٠٠٤) .

وقـد عمل المهنـدس لـوشتـر كخبيـر استشـارى لـولايـات ميسـورى وكاليفورنيا وكـارولينا الشمالية . وقد تخلت ولايات كثيـرة اليوم عن هذا النمط من الإعـدام بسبب تكلفته البـاهظة ليس فحسب بـالنسبة لغـاز السيـانيدر، ولكن بـالنسبة أيضـا لمـواد تصنيعه وصيـانته التى تستلـزم إجراءات أمنية لاستخدامه، مما جعله أغلى طريقة للإعدام .

وبعد أن قام لوشتر بزيارة واختبار عينات « غرف الغاز » المزعومة في أوشفيتز ـ بيركيناو وغيره من معسكرات الشرق، توصل إلى الاستنتاجات التالية : « إن الفحص العينى للمنشآت تشير إلى أن تصميمها كان رديئًا للغاية وخطرًا إذا ما استخدمت كغـرف للإعدام » وخلص لوشتر إلى أن أى من الشـروط لـم تستـوف للقـول بأنها غرف الغاز القـاتلة . وكان أى إنسـان يعمل فيها سيعرض نفســه للخطر، وبعد أن اسـتعرض جمـيع المـواد الوثائقيــة وفحـص جميــع الأماكن فـي أوشـفيتز ، وبـركيناو، ومــاجدانك، وجـد أن البراهيـن دامغة : فلم تـوجـد في أى من هـذه الأماكن غرف غاز قاتل » .

[المصدر : تقرير لوشتر، ماساتشوست، ٥ أبريل ١٩٨٨] .

وفي أثنـاء محاكمـة تـورنتـو، كشف المحامى كـريستى كم كـانت الشهادات « تتعارض مع حقيقـة الإمكانيات الكيميائيـة والتقنية . وكما توضح العينات والمعاينة التى قام بها لـوشتر فإن آثار حامض السيانيدر في الزيكلون ب، كـانت أهم بكثير في القاعات التى تأكـد أنها كانت مخصصـة للتطهير، عنهـا في القـاعات المـزعـوم أنهـا كانت « غـرف

للغاز» .

[المصدر : المرجع السابق] .

وهذه النتيجة أكدتها جزئيًا المعـاينة المضادة لكراكوفى التى أجراها معهد معاينات الطب الشرعى في كراكوفى بتاريخ ٢٠ فبراير وحتى ١٨ يوليه ١٩٩٠ ، والتى أبلغت نتائجها للمتحف بالخطاب المؤرخ في ٢٤ سبتمبر ١٩٩٠ .

هذا وقد فحص لوشتر الأماكن التى استخدمها النازى وفقًا للخرائط الرسمية لبيكركيناو، كمقابر للحرق « للتخلص من الجثث . وشدد على أنه من المستحيل حرق الأجسام تحت الماء لأن أوشفتيز وبيركيناو بنيتا على مستنقعات .

أما ألبوم أوشفيتز وهو يضم ١٨٩ صورة أخذت من المعسكر نفسه في ذلك العهـد ، والذى قـدم له سيـرج كلاسفلـد ، تظهر ١٨٩ منظـرًا للحيـاة في معسكـرات الاعتقـال لـدى وصـول قـافلـة من المعتقلين القـادمين من المجـر. وليس فيـه أى شىء يثبت الإبـادة الجمـاعيـة والمنظمة ، بل على العكس فإنها تستبعد مثل هذه الإبادة .

[المصدر : ألبوم أوشفيتز، باريس، ١٩٨٣] .

ويبدو أن الكندى جون بول، خبير تفسير الصور الجوية ، هو الذى جمع أكبر قدر من المستندات التصـويريـة الأصليـة وأجرى بكفـاءة تحليلاً صـارمًا لهـا . وجاءت استنتاجـاته متعارضـة تمامًـا مع التاريخ

الرسمى.

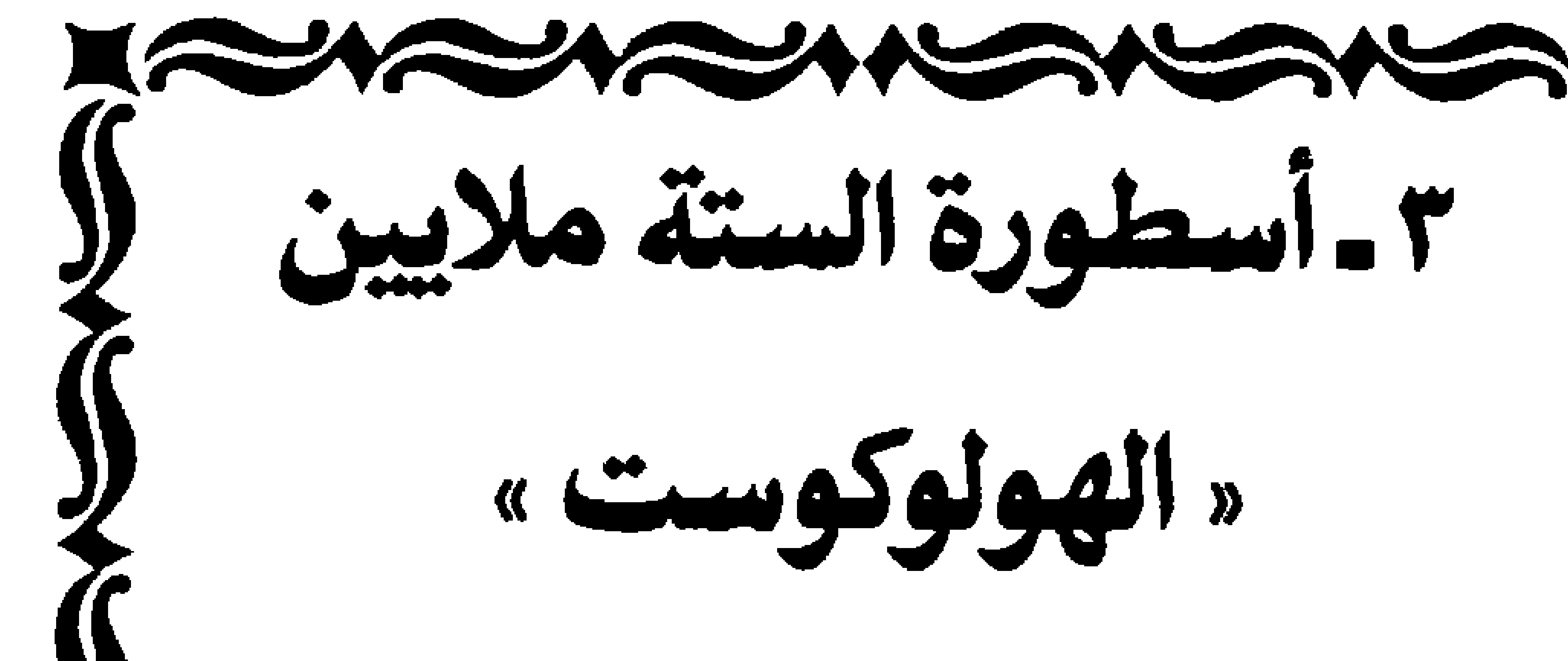
[المصدر: القرائن التصويرية الجوية، كندا ، ١٩٩٢].

ولا يمكن لكتاب بريساك المعنون « محارق أوشفيتز » الذى لا يخصص سوى فصل واحد من ٢٠ صفحة لغرف الغاز، والذى لا يشير إطلاقًا إلى تقرير لوشتر، أن يوازن أو يعادل تحليلات لوشتر.

وطالما لم تجر بين خبراء من ذوى الكفاءات المتساوية، مناقشة علمية وعلنية بشأن المهندس فرد لوشتر ، وبشأن معاينة كراكوفى المضادة، التى جرت في ١٩٩٠ بناء على طلب من سلطات متحف أوشفيتز، وطالما أن مجموع أوراق النقاش حول « غرف الغاز » لن يخضع لمناقشة حرة، فإن الشك سيظل قائما بل والريبة.

وحتى هذه اللحظة ، فإن الحجج الوحيدة التى استخدمت حيال الرافضين للتاريخ الرسمى، كانت هى الامتناع عن المناقشة، والاغتيال، والرقابة والاضطهاد.

●●●



٣ - أسطورة الستة ملايين

« الهولوكوست »

« الإبادة الجماعية: هى الإبادة المنظّمة لمجموعة عرقية بالقضاء على أفرادها».

قاموس لاروس

« وعلى غرار الوعد الإلهى الوارد في التوراة ، فإن الإبادة الجماعية هى عنصر من عناصر التبرير الأيديولوجى لإنشاء دولة إسرائيل » توم سيجيف ، المليون السابع.

١٩٩٣ - ص ٥٨٨.

عادة ما تستخدم عبارات ثلاث لتعريف المعاملة التى عانى منها اليهود على أيدى النازيين وهى : الإبادة الجماعية ، والهولوكوست والشُواه **SHOAH** .

ولعبارة « الإبادة الجماعية » معنى محدد من واقع أصل الكلمة نفسها وهو إبادة جنس ما ، وذلك بافتراض وجود جنس يهودى كما تدعي العنصرية الهتلرية وكما يؤكده القادة الإسرائيليون حتى الآن .

ولكن هل كانت هناك أثناء الحرب ، « إبادة جماعية » لليهود ؟ .

ولعبارة الإبادة الجماعية معنى محدد في جميع القواميس . فلاروس على سبيل المثال يعطى هذ التعريف : « الإبادة الجماعية هي الإبادة المنظمة لمجموعة عرقية بالقضاء على أفرادها » .

ولا ينطبق هذا التعريق حرفيا إلا في حالة غزو يشوع لأرض كنعان ، حيث جاء فى سفر العدد أنه بالنسبة لكل مدينة مفتوحة « لم يبق بها شريد (أى إنسان حى)» . (العدد ، ٢١ ـ ٣٥) .

وعلى ذلك فقد استخدمت العبارة في نورمبرج بطريقة خاطئة تمامًا لأن الأمر لا يتعلق بإفناء شعب بأكمله والقضاء عليه كما هو الحال بالنسبة للإبادات المقدسة » للعمالقة والكنعاايين وغيرهم من الشعوب الأخرى الذى تحدث عنها سفر يشوع بأنها حدثت في عجلون وحبرون : « ولم يبق منهم باقيًا » (يشوع ، ١٠ ـ ٣٧) أو في حاصور : «وأما الرجال فضربوهم جميعًا بحد السيف حتى أفنوهم ولم يبقوا نسمة» . (يشوع ، ١١ ـ ١٤) .

وعلى النقيض من ذلك ، فإن اليهودية (وتعريفها « كنجس » ينتمي إلى القاموس الهتلري) قد حققت انطلاقة هائلة في العالم منذ عام ١٩٤٥ .

ولا شك أن اليهود كانوا أحد الأهداف المفضلة لهتلر بسبب نظريته العنصرية التي تقوم على تفوق الجنس الآري ، وخلطه المتعمد والمنهجي بين اليهود والشيوعية التي كانت عدوه الرئيسي (وهو ما تشهد عليه عمليات إعدام آلاف الشيوعيين الألمان ، ثم عناده وتصلبه ضد السجناء السلاف أثناء الحرب) . وأطلق على هذا الخلط عبارة «اليهودية البلشفية » .

وتوخى منذ إنشاء حزبه « القومي ـ الاشتراكي » (النازي) ، ليس فحسب) استئصال الشيوعية ، بل وطرد جميع اليهود من ألمانيا أولا ، ومن كل أوروبا بعد أن يسيطر عليها . وحدث هذا بطريقة بعيدة كل البعد عن الإنسانية : أولا بالتهجير ، ثم بالنفي ، وأثناء الحرب ، بالحبس في معسكرات الاعتقال في ألمانيا أولاً ، ثم بالإبعاد نحو مدغشقر في بادىء الأمر ثم نحو الشرق في الأراضي المحتلة ، وخاصة في بولندا ، حيث هلك السلاف واليهود والغجر بالأشغال الشاقة في خدمة الإنتاج الحربي ، ثم بالأوبئة الفظيعة للتيفوس التي تدل كثرة المحارق على ضخامتها .

فماذا عن الحساب الختامي لهذا التعنت الهتلري ضد هؤلاء الضحايا السياسيين أو العنصريين؟

لقد خلّفت هذه الحرب العالمية الثانية . ٥٠ مليونًا من الموتى منهم ١٧ مليونـا من السوفييت و ٩ ملايين من الألمـان . أما بولنـدا والبلدان الأخرى المحتلة في أوروبا ، وكذلك مـلايين الجنود من أفريقيا وآسيا ، فقد دفعوا ثمنًا باهظًا بموت عدد كبير منهم .

وعلى ذلك ، فإن الهيمنـة الهتلـرية لم تكن ، كمـا أشـاعت بعض ألـوان الدعـاية ، حكـرًا على اليهود وحـدهم ، أو أنهم كانـوا الضحايـا الرئيسيين . فقـد كانت كارثة بشـرية لا مثيل لها للأسف الشـديد ، لأن هتلر طبق على البيض مـا طبقه الاستعمـاريون الأوروبيون منـذ خمسة قرون ، على الملـونين ، ابتداء من هنـود أمريكـا ، الذى استئصل منهم ٦٠ مليونـًا من ٨٠ مليونًا (وبالأشغـال الشاقة كـذلك والأوبئة) وحتى الأفارقة الذين نقل منهم من عشرة إلـى عشرين مليونًا إلى الأمريكتين ، بعـد أن مات منهم ١٠٠ إلـى ٢٠٠ مليون خـلال فتـرة الرق واصطيـاد العبيد السود .

وكانت هذه الأسطورة ترضى الجميـع : فالحديث عن « أكبر عملية إبادة جماعية في التاريخ » كان بـالنسبة للاستعماريين الغربيين ، إنزالاً للستـار على جـرائمهم (قتل الهنـود في أمـريكـا ، والـرقيق السـود) ، وبالنسبة لستالين محوًا لآثار عمليات القمع الوحشية التى قام بها .

[المصـدر: بول مـارى دى لاجورس ، ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ حرب غيـر معروفـة ، باريس ١٩٩٥ ، ص ـ ٥٣٥] .

وكانت الغـايات من ذلك غايات سيـاسية وليست غايات حـربية .

فقد كتب تشرشل ابتـداء من ١٩٤٨ في كتابه : الحرب العالميـة الثانية (المجلـد الرابع) : مـن الخطأ الافتراض بأن مصيـر اليـابـان قد تقـرر بواسطة القنبلة الذرية ».

ويؤكـد الأميرال الأمـريكى وليم ليهى في كتابـه « كنت هناك » على هـذا قائلا : في رأيى أن استخـدام هذا السـلاح البربـرى في هيروشيمـا ونجازاكى لم يكن عونًا كبيرًا في الحرب ضد اليابان » .

والواقع أن الإمبراطـور هيروهيتو كان قد بدأ المفـاوضات للاستسلام فى ٢١ مايـو ١٩٤٥ ، مع الاتحاد السـوفيتى (الذى لم يكن قـد دخل الحـرب مع اليابـان بعد) ، وذلك بـواسطـة وزيره للخـارجية والسفيـر السوفيتى مالك .

[المصدر: المرجع السابق ، ص ـ ٥٣٢] .

وكانت واشنجتن على معرفة تامة بنوايا اليابانيين .

وعلى هذا فقـد كان الهـدف سياسيـا لا حربيـا ، كما صـرح بذلك الوزير الأمريكـى للطيران فلنتر شارحًا أن استعمال القنابـل الذرية كان هـدفه « طـرح اليـابان أرضًـا » قبل دخـول روسيا الحـرب » . ويلخص الأميرال الأمريكى ليهى في كتـابه السابق : « باستخدامنا القنبلـة الذرية كأول من استخـدمهـا ، فإننـا قـد هبطنـا إلى مستـوى بـرابـرة العصـور الوسطى » .

وبالنسبة لكل هؤلاء الزعماء ، الذين يستحقون أن يقفوا أمام محكمة

دولية مكونة من دول محايدة كمجرمى حرب بجانب جورنج وعصابته، اكتشفوا لأنفسهم حججًا « بغرف الغاز » و « عمليات الإبادة الجماعية»، وهى حجج لم تكن لتخطر على بالهم أبدًا لتبرير جرائمهم ضد الإنسانية أو محوها على الأقل.

وكتب المؤرخ الأمريكى أولبريت، الذى كان مديرًا للمعهد الأمريكى للبحوث الشرقية، في كتابه الأساسى، « من العصر الحجرى إلى المسيحية. والوحدانية وتطورها »، وبعد أن برر « الإبادات الجماعية المقدسة » ليشوع فى غزوه لكنعان، يقول « إننا نحن الأمريكان ليس لنا الحق في الحكم على الإسرائيليين.. لأننا قد أبدنا... آلاف الهنود داخل الأركان الأربعة لبلدنا الكبير وجمعنا من تبقى منهم في معسكرات ضخمة للاعتقال ٢٢٠ (ص- ٢٠٥).

وعبارة « هولوكوست » المطبقة على نفس هذه المأساة منذ السبعينات انطلاقا من كتاب إيلى فينزل: « الليل » (١٩٥٨) والتى انتشرت بعد عرض فيلم «الهولوكوست»، تشى هى الأخرى بالرغبة في استغلال الجريمة التى ارتكبت ضد اليهود وجعلها حدثًا استثنائيا لا مثيل له ولا يمكن مقارنته بقتل الضحايا الآخرين للنازية، ولا بأى جريمة أخرى من جرائم التاريخ، لأن معاناتهم وأمواتهم قد اتخذت طابعًا مقدسًا. ومن ثم فإن « لاروس العالمى » (باريس ١٩٦٩، ص- ٧٧٢) يعرف الهولوكوست كالآتى: « قربان لدى اليهود، تحرق فيه الضحية بالنار تمامًا ».

وبذلك أصبح استشهاد اليهود لا يعادله استشهاد آخر نظرًا لطابعه القرباني الذى أدمجهم ضمن المشروع الإلهى على طريقة صلب المسيح في اللاهوت المسيحى، مفتتحًا بذلك عصرا جديدا، الأمر الذى أتاح لأحد الحاخامات أن يقول: إن إنشاء دولة إسرائيل، هو رد الرب على الهولوكوست ».

ولتبرير الطابع المقدس للهولوكوست كان ولابد من الإبادة التامة واختراع عمليات التنفيذ ثم الحرق.

نعم الإبادة النهائية، ومن أجلها كان لابد من توخى الحل النهائى للمشكلة اليهودية الذى صار إبادة.

ومع هذا فلم يتسن تقديم أى نص يثبت أن « الحل النهائى » للمشكلة اليهودية كان بالنسبة للنازيين هو الإبادة.

ولقد ارتبطت معاداة هتلر للسامية، منذ بياناته الأولى، بمعركته ضد البلشفية (فهو يستخدم دائما تعبير « اليهودية ـ البلشفية ») ؛ وكانت معسكرات الاعتقال الأولى التى أقامها مخصصة للشيوعيين الألمان الذين ماتوا بالآلاف، بما فيهم رئيسهم تيلمان.

أما بالنسبة لليهود، فإنه كان يوجه إليهم اتهامات متناقضة أولاً أنهم من أنشط الحركيين في الثروة البلشفية (تروتسكى، وزينوفييف، كامنيف، . . إلخ)، وأنهم في الوقت ذاته. من أشد الرأسماليين استغلالاً للشعب الألمانى.

وعلى ذلك، فكان من المهم بعد تصفية الحركة الشيوعية، وإعداد التوسع الألماني نحو الشرق ، على طريقة الفرسان التوتونيين، سحق الاتحاد السوفيتي، الأمر الذي ظل شاغله الشاغل من البداية وحتى النهاية ، والذى ظهر إبان سطوتــه على شكل فظاعات حيال المسجونين السلاف (البولنديون والروس) . وأنشأ لهذا الغرض أثناء الحرب ضد روسيا، وحدات مكلفة خصصيا للنضال ضد حرب المشايعين السوفييت والقضاء على مفوضيهم السياسيين، حتى لو كانوا مسجونين، ومن بينهم عدد كبير من اليهود الشجعان الذين قتلوا كرفاقهم من السلاف .

ويبرهن ذلك على حدود الدعاية بشأن « المعاداة السوفيتية للسامية» . فلا يمكن في آن واحد ادعاء أن السوفييت كانوا يبعدون اليهود عن الوظائف الهامة، والجزم بأن اليهود كانوا يشكلون غالبية «المفوضين السياسيين » للمشايعين الذين تكلفت الوحدات الخاصة بالقضاء عليهم .

أما فيما يتعلق بمجموع اليهود الألمان ثم الأوروبيين، فإن إحدى الأفكار البشعة للنازيين كانت تتمثل في تفريغ ألمانيا ثم أوروبا منهم .

وشرع هتلر في ذلك على خطوات هى :

● الأولى هي تنظيم تهجيرهم في ظروف تسمح لـه بسلب أموال الأغنياء منهم . (وقد رأينا كيف تعاون زعماء الصهاينة في شركة «ععفرا»

في هذه العملية بالـوعد في مقابل ذلك بالحيلولة دون مقـاطعة ألمانيا الهتلرية، وعدم المشاركة في الحركة المضادة للفاشية) .

● والخطوة الثـانية كانت الإبعاد بـلا شرط متابعـة للمخطط الرامى إلى إرسـالهم جميعاً إلـى جيتو عـالمى، وهـو جزيـرة مـدغشقر بعـد استسلام فـرنسا . وجـرى التخلى عن هذا المشـروع لضخامـة العملية وصعوبتها في زمن الحرب .

● الاحتلال الهتلرى لشرق أوروبا ، ولا سيمـا بولندا، والذى أمكن التوصـل إليه بفضل « الحل النهـائى » وهو تفريـغ أوروبا من يهـودها، بنقلهم بشكل مكثّف إلى معسكرات خارجية، التى ذاقوا فيها أشد أنواع المعاناة والتعذيب، بمـا فى ذلك التجويع والسير الإجبارى، والمميت للضعفاء، والأشغـال الشاقـة في ظـروف لا إنسانيـة لخدمـة المجهود الحربى الألمانى (وكان معسكر أوشفيتـز ـ بيركيناو على سبيل المثال أكبر مركز للصناعات الكيميائيـة) . وأخيرًا الأوبئة، وخاصة التيفوس، التى اجتاحت المعتقلين المنهكين .

فهل من الـلازم اللجـوء إلى أسـاليب أخرى لشـرح المـوت الفظيع الذى حاق بضحايا مثل هذه المعـاملة ، وبعد ذلك المبالغة في الأرقام بصورة مفرطة، والاضطرار إلى تخفيضها لاحقًا؟ .

● وكذلك استبـدال اللوحة التـذكارية بمعسكـر بيركيناو ـ أوشفيتز لتخفيض عدد الموتى من ٤ ملايين إلى مليون؟ .

● تغيير لوحة « غرفة الغاز » في داخاو للتوضيح بأنها لم تعمل أبدا .

● أو تغيير لوحة « استاد الشتاء » في باريس للإشارة إلى أن عدد اليهود الذين اعتقلوا فيه كانوا ٨١٦٠ وليس ٣٠٠٠٠ كما جاء في اللوحة الأصلية التى تم سحبها .

[المصدر : لموند ، ١٨ يوليه ١٩٩٠ ، ص ـ ٧].

وليس الغرض مسك دفاتر حسابية مؤلمة ومفجعة . فقتل إنسان بريء واحد سواء أكان يهوديًا أو لم يكن ، هو جريمة ضد الإنسانية . ولكن إذا ما كان عدد الضحايا لا أهمية له من هذه الناحية ، فلماذا إذن التمسك منذ ما يزيد على نصف قرن مضى برقم الستة ملايين ، في الوقت الذي لا نعتبر فيه أن عدد الضحايا غير اليهود في كاتين ودرسدن وهيروشيما ونجازاكى لا يجوز الاقتراب منه على العكس من الرقم الذهبى الستة ملايين الذى يحظى بالتقديس ، رغم ما طرأ عليه من تخفيض بصورة دائمة .

وفيما يتعلق بمعسكر أوشفيتز ـ بيركيناو وحده :

● ٩ ملايين وفقًا لفيلم المخرج الفرنسى آلان رينيه « الليل والضباب » ، الذى أخرجه عام ١٩٥٥ ، مع أنه فيلم رائع ومؤثر.

● ٨ ملايين وفقًا « لوثائق خدمة تاريخ الحرب » ـ معسكرات

الاعتقال، الذى أصدره المكتب الفرنسى للنشر عام ١٩٤٥، الصفحة ٧.

● ٤ ملايين طبقًا للتقرير السوفيتى الذى جعلت منه محكمة نورمبرج دليل إثبات شرعى وفقًا للمادة ٢١ من النظام الأساسى التى تنص على ما يلى: « تكون للوثائق والتقارير الرسمية للجان التحقيق التابعة لحكومات الحلفاء قوة دليل الإثبات الشرعى » ومع أن هذه المادة نفسها تنص على أن « هذه المحكمة لن تطالب بتقديم الأدلة على الوقائع المعروفة للجميع، وستعتبرها أدلة مسلم بصحتها ».

● ٢ مليون حسب ما جاء في كتاب المؤرخ اليهودى ليون بولياكوف « ترانيم الحقد »، ١٩٧٤ ص ـ ٤٩٨.

● مليون وربع حسب ما جاء في كتاب المؤرخ اليهودى راءول هيلبرج، « تدمير يهود أوروبا »، الصادر عام ١٩٨٥، ص ـ ٨٩٥.

والآن وبعد أبحاث تاريخية مطولة قام بها علماء من جنسيات مختلفة، أوجز مدير معهد التاريخ المعاصر في باريس، السيد فرانسو بيداريدا، هذه الأعمال في مقال له صدر بجريدة لموند وعنوانه « تقييم ضحايا أوشفيتز »، خلص فيه إلى أن عدد ضحايا معسكر أوشفيتز يتراوح بين ٩٥٠٠٠٠ على أقل تقدير و ١,٢ مليون على أكثر تقدير.

[المصدر : لموند، ٢٣ يوليه ١٩٩٠].

ويمكن كذلك عمل تقييم لعدد الموتى في المعسكرات الأخرى.

فعلى سبيل المثال، كم كان عدد الموتى في معسكر مجدانيك؟

● مليون ونصف طبقا للوسى داودوفيتش في كتاب « الحرب ضد اليهود» ، الصادر في عام ١٩٨٧ ، الصفحة ١٩١ .

● ٣٠٠٠٠٠ حسب ليا روش وإبرهارد، ١٩٩١ ، ص ـ ٢١٧ .

● ٥٠٠٠٠ حسب راءول هيلبرج (المرجع السابق) .

وهنا يطرح السؤال التالى . ألا يخدم الدعاية النازية الحديثة تقديم مثل هذه الحجة : إذا كنتم قد كذبتم بشأن مسألة عدد الضحايا اليهود، فماذا يمنع أن تكونوا قد بالغتم في جرائم هتلر ؟ » .

ونفس هذه المغالطات المريبة بشأن أساليب قتل اليهود، قد تثير الشك أيضًا :

● فالنيويورك تايمز الصادرة في ٣ يونيه ١٩٤٢ تتحدث عن « مبنى للإعدام » كان يعدم فيها بالرصاص ١٠٠٠ يهودى يوميًا .

● وفى ديسمبر ١٩٤٥ ، أدخل ستيفان زيند اليهود في حوض سباحة ضخم يمر فيه تيار كهربائى ذو ضغط عالٍ لصعقهم، ويضيف : « وبهذا فإن مشكلة إعدام ملايين الرجال قد حُلّت » .

● وثيقة نورمبرج رقم ٣٣١١ المؤرخة في ١٤ ديسمبر ١٩٤٥ ، وتشير إلى ضحايا ماتوا بالأبخرة داخل « غرف البخار المحرق » .

● وبعد شهرين ونصف ، استبدلت نفس هذه المحكمة غرف

البخار المحرق بغرف الغاز.

ولكن الصيغتان الشائعتان في التليفزيون والصحافة والكتب المدرسية هما الإعدام بالزيكلون ب من جهة، والشاحنات المجهزة بمخارج غاز محركات الديزل.

والأمر الذى يؤسف له أن محكمة نورمبرج أو أى محكمة أخرى لم تأمر بإجراء أى معاينة من أجل التحديد النهائى لسلاح الجريمة.

●●●

وهناك مثال آخر مؤسف هو معسكر داخاو. فالفيلم الذى عرض في نورمبرج أثناء المحاكمة بشأن فظاعات النازى، أوضح وجود « غرفة غاز » واحدة فقط. هى غرفة معسكر داخاو. وقد نظمت الزيارات للسياح والطلبة حيث توجد اليوم لوحة تذكارية جاء فيها أن أحدًا لم يلق فيها حتفه بالغاز لأنها لم تستكمل أبدًا!.

وصدر في ١٩ أغسطس ١٩٦٠، بيان عن مارتى بروزات عضو معهد التاريخ المعاصر في ميونيخ، اعترف فيه بأنه لم يحدث أن قتل اليهود أو المعتقلون الآخرون بالغاز في داخاو، أو بريجن ـ بيلسن، أو بوشنفالد .. ولم يبدأ القضاء الجماعى على اليهود بالغاز إلا في ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ ... وقبل كل شىء في الأراضي البولندية المحتلة».

وبالإضافة إلى عمليات القصف الجوى التى ضربت سكان البلدان المشتركة في الحرب، والأشغال الشاقة والنقل الدائم في ظروف لا

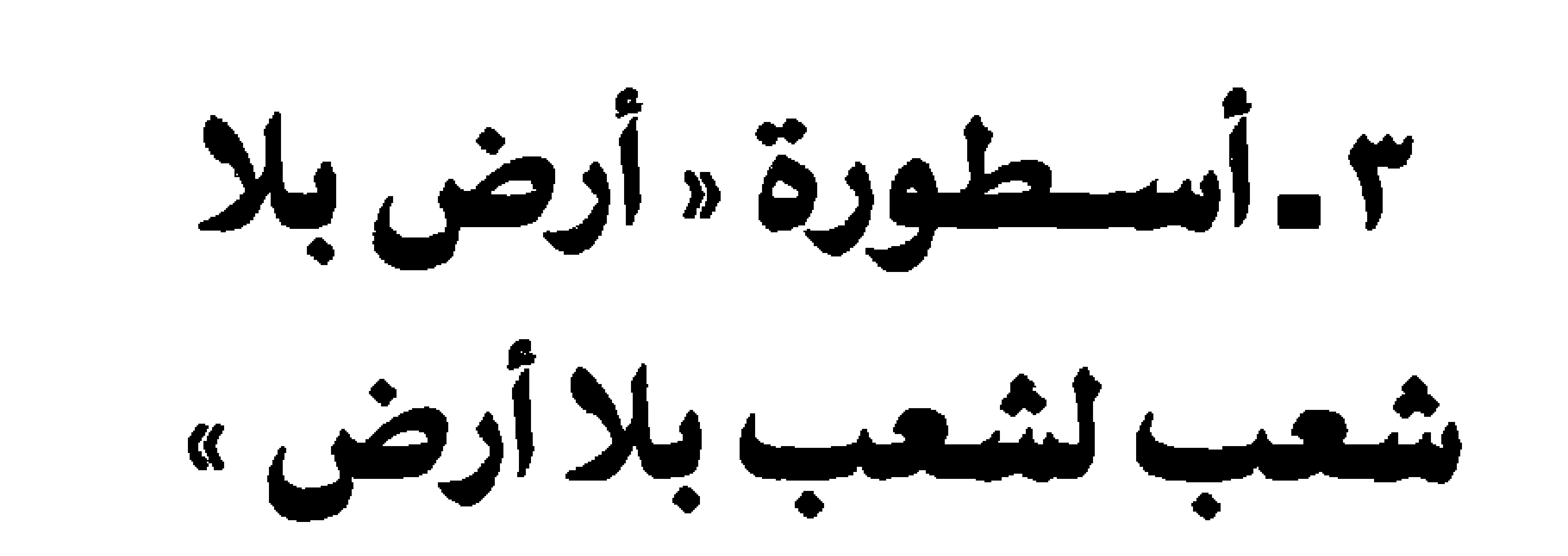
إنسـانية خلّفت آلاف الجثث في الطـريق، وسوء التغـذية، والأوبئـة ، فهل تحتـاج هـذه المأساة إلى تضخيـم للدلالـة على قتل اليهـود على أيدى النازى؟

وهل الحـاجة تدعـو والحالـة هذه إلى الإبقـاء بأى ثمن على هـالة القداسة للهولوكوست، والتلويح بشبح « غرف الغاز »؟ .

ورغم وجود خلط لدى الناس مـن ذوى النيات الطيبة بين «محارق المـوتى » و « غرف الغـاز »، ووجود عـدد هـام من هذه المحـارق في المعسكرات الهتلريـة لوقف انتشار وباء التيفـوس، فإن هذه المحارق ليست بـالحجة الكـافية، فهذه المحـارق موجـودة في المـدن الكبرى كباريس (بيـرلاشيز) ولندن وفي كل العـواصم الهامة، وحـرق الموتى فيها لا يعنى بالطبع الرغبة في إبـادة السكان. ولذلك فقد اقتضى الأمر إضافة « غرف الغاز » إلى المحارق لإقـامة الذرائع والتدليل على الإبادة بالنـار. ومع ذلك فلم تتوفر المقتضيـات المبدئية لإثبات وجـودها ولم تسمح معاينة « سلاح الجريمة » بالعثور عليها .

وقد خدع الإخراج الذى أحـاط بمعسكر داخاو آلاف الأطفال الذين كـانوا يقتـادون إلى هناك لتلقينهم عقيـدة الهولـوكوست ، نـاهيك عن الكبار وقدماء المعتقلين ! .

وكانت غرفة الغاز في داخاو هى الوحيدة التى عرضت بالصور على المتهمين في نـورمبرج، بوصفهـا من أماكن الإبـادة الجماعيـة، ويبدو أنهم اقتنعوا بذلك باستثناء جورنج وستريشر.



٣ ـ أسطورة « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض »

« لا يوجد شعب فلسطيني.. وكأننا نحن الذين جئنا لإخراجه من دياره والاستيلاء على بلده . فهم (الفلسطينيون) لا وجود لهم » .

السيدة جولدا مائير

في تصريح لجريدة الصنداى

تايمز اللندنية

بتاريخ ١٥ يونيه ١٩٦٩.

ترتكز الأيديولوجية الصهيونية على فرضية واهية وجد بسيطة هي أنه قد جاء في سفر التكوين (١٥ / ١٨ ـ ٢١). ما يلي :

« في ذلك اليوم بتّ الرب مع « أبرام » عهدًا قائلاً : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات ».

وانطلاقًا من ذلك ، ودون التساؤل عن ماهية هذا العهد ولمن صدر الوعد أو أن الاختيار كان غير مشروط ، أعلن الزعماء الصهاينة ، حتى ولو كانوا لا أدرين أو ملحدين أن فلسطين قد أعطيت لنا من الرب .

وتشير الإحصائيات ، حتى إحصائيات الحكومة الإسرائيلية أن ١٥٪ من الإسرائيلين فقط هم من المتدينين . ولكن هذا لا يمنع ٩٠ ٪ منهم التأكيد على أن هذه الأرض قد منحها لهم الرب . . الذى لا يؤمنون به .

ولا تمارس الغالبية العظمى للإسرائيليين الحاليين الطقوس ولا العقيدة الدينية ، ولا تضم مختلف « الأحزاب الدينية » التى تلعب مع ذلك دورًا حاسمًا في دولة إسرائيل ، سوى أقلية ضعيفة جدًّا من المواطنين .

وشرح ناثان وينستوك هذا التناقض في كتابه « الصهيونية ضد إسرائيل » قائلاً : لو ألغينا مفاهيم « الشعب المختار » و « الأرض الموعودة» لانهارت الصهيونية من أساسها ».

[المصدر : الصهيونية ضد إسرائيل ، باريس ١٩٦٩ ، ص ٣١٥].

« إن هذا البلد وجد كوفاء لوعد أخذه الرب على نفسه . ومن المثير

للسخرية محاسبته على شرعيته . وتلك هى البديهية المسلم بصحتها والأساسية التى وضعتها جولدا مائير » .

[المصدر : لموند ، ١٥ أكتوبر ١٩٧١] .

« لقد وُعدنا بهذه الأرض ، ولنا حق فيها » . كما يقول بيجين .

[المصدر: تصريح بيجين في أوسلو، صحيفة دافار ، ١٢ ديسمبر ١٩٧٨] .

ولا شك أن بن جوريون يشير إلى سابقة « صيد الهنود » في أمريكا لطردهم والاستيلاء على أراضيهم عندما قال بوضوح : « إن الأمر لا يتعلق بالحفاظ على الوضع الراهن ، فأمامنا مهمة إنشاء دولة نشيطة وديناميية موجهة نحو التوسع » .

وتتطابق الممارسة السياسية مع النظرية الغربية التى مفادها : الاستيلاء على الأرض بطرد سكانها كما فعل يشوع ، خليفة موسى .

وقد أعلن مناحم بيجين ، وهو أشدهم إيمانًا بالتقاليد التوراتية : أن أرض إسرائيل الكبرى ستعود إلى شعب إسرائيل ، كلها وللأبد » .

[المصدر : مناحم بيجين ، العصيان ، قصة الأرجون ، ص ـ ٣٣٥] .

وهكذا ومنذا البداية ، تضع دولة إسرائيل نفسها فوق كل قانون دولى .

ولما فرضت إسرائيل على منظمة الأمم المتحدة في ١١ مايو ١٩٤٩ بإرادة الولايات المتحدة ، فإنها لم تقبل عضوا إلا بثلاثة شروط هى :

١ ـ عدم المساس بوضع مدينة القدس .

٢ ـ السماح للعرب الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم .

٣ ـ احترام الحدود التى وضعها قرار التقسيم .

ولكن بن جوريون أعلن في معرض حديثه عن هذا التقسيم وعن القرار الذى اتخذته الأمم المتحدة : « ترى دولة إسرائيل أن قرار الأمم المتحدة الصادر في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، يعتبر باطلاً وكأنه لم يكن » .

وتتطابق السياسة تمامًا مع قانون الغاب هذا : إن تقسيم فلسطين المنبثق عن قرار الأمم المتحدة لم يحترم أبدًا .

وقرار تقسيم فلسطين هذا يشى بمخططات وأهداف الغرب بشأن «قاعدته المتقدمة » ، فاليهود في ذلك التاريخ لم يكن يمثلون سوى ٣٢٪ من السكان ، ولا يملكون سوى ٦ , ٥ ٪ من الأرض ، ومع هذا فقد حصلوا على ٥٦ ٪ من الأراضى ذات التربة الخصبة . ولقد تم التوصل إلى هذه القرارات تحت ضغط من الولايات المتحدة . فقد مارس الرئيس ترومان ضغطًا لا مثيل له على وزارة الخارجية الأمريكية . وفي ذلك يقول وكيل هذه الوزارة سومنر ويلز : بأمر مباشر من البيت الأبيض ، كان على الموظفين الأمريكيين ممارسة ضغوط مباشرة أو غير مباشرة . . لضمان الأغلبية اللازمة عند التصويت النهائى » .

[المصدر سومنرويلز ، « علينا ألا نخفق » ، بوسطون ، ١٩٤٨ ، ص ـ ٦٣] .

ويؤكد جيمس فورستال، وزير الدفاع آنذاك ، أن : « الأساليب المستخدمة للضغط ، ولإكراه الدول الأخرى في الأمم المتحدة ، أَشْفَتْ [قاربت] على الفضيحة» .

[المصدر: مذكرات فورستال، نيويورك، ١٩٥١ ، ص-٣٦٣].

وقد تم أيضا تعبئة قوى الاحتكارات الخاصة لهذا الغرض. ومع ذلك، فقد انتهكت هذه القرارات المتحيزة ابتداء من عام ١٩٤٨ .

فكلما احتج العرب على هذا الظلم ورفضه، تمادى الزعماء الإسرائيليون في استغلال ذلك للاستيلاء على أراضٍ جديدة، لا سيما يافا وعكا، بحيث سيطر الصهاينة في ١٩٤٩ على ٨٠٪ من البلاد، وطُرد ٧٧٠,٠٠٠ فلسطيني منها .

وكان الأسلوب المستخدم والمتبع هو أسلوب الترهيب والتخويف .

والمثل الصارخ على ذلك هو دير ياسين. ففي التاسع من أبريل ١٩٤٨ ، بطريقة مماثلة لطريقة النازى في أورادور، قتل أهالي هذه القرية البالغ عددهم ٢٥٤ نسمة (الرجال والنساء والأطفال والشيوخ) على أيدى قوات الأرجون التى كان يرأسها مناحم بيجين .

ويقول مناحم بيجين إنه بدون « الانتصار » في دير ياسين، ما قامت دولة إسرائيل « فقد قامت الهاجانة بهجمات مظفرة على جبهات أخرى . . وكان العرب الذين أصابهم الهلع يهربون وهم يصيحون : دير ياسين » .

وقـد اعتبـر «غـائبـا» كل فلسطينى غـادر منـزلـه قبل أول أغسطس ١٩٤٨ . وبهذه الطريقة صودر ثلثا الأراضى المملوكة للعرب (٧٠٠٠٠ هكتار من ١١٠٠٠٠). وعنـدما صدر فـي عام ١٩٥٣ ، قانـون حيازة العقارات ، حـدد التعويض حسب قيمـة الأراضي في عام ١٩٥٠ ، مع أن الجنيه الإسرائيلى كان قد فقد قيمته بمعدل خمس مرات .

وكانت الأمـم المتحدة قد عينت وسيطًا هو الكونت فولك برنادوت ، الـذى وصف في تقريـره الأول السلب الصهيـونى على النطاق الـواسع وتدمير القرى دون ضرورة عسكرية ملحة .

وقدم هذا التقريـر في ١٦ سبتمر ١٩٤٨ . وفي ١٧ سبتمر ١٩٤٨ ، اغتيل الكونت برنـادوت ومساعده الفرنسى الكولـونيل سيرو، في الجزء الذى يحتله الصهاينة من القدس .

ولم تكن هـذه أول جريمـة صهيونية ضـد من يتجاسـر على فضح تضليلهم وغشهم .

فقد أعلن اللورد موين ، الوزير المفوض البريطانى في القاهرة ، أمام مجلس اللوردات في ٩ يونية ١٩٤٢ ، إن اليهـود ليسوا أحفاد العبرانيين القدماء ، وأنهم لا يملكون المطالبة الشـرعية بالأراضى المقدسة . وفي ٩ نوفبر ١٩٤٤ ، اغتيل اللـورد موين في القاهرة على يـد اثنين من أفراد جماعة شتيرن (التابعة لإسحق شامير) .

كمـا حلـت دولـة إسـرائيل محـل المستعمـرين القدمـاء وبنفس الأسـاليب في الزراعـة وغيـرها ، وبـذلك تـواصل النظام الاستعمـارى

وتفاقم. ويعترف الدكتور روزنفيلد في كتابه «العمال العرب المهاجرون» الذى نشرته الجامعة العبرية في ١٩٧٠، بأن الزراعة العربية كانت أكثر ازدهارًا وقت الوصاية البريطانية منها اليوم.

وظهر التمييز العنصرى كذلك في إطار سياسة الإسكان. فقد ذكر إسرائيل شاحاك، الأستاذ بنفس هذه الجامعة العبرية في كتابه: «عنصرية دولة إسرائيل» (ص ٥٧) أنه يوجد في إسرائيل مدن بأكملها (كارمل، ونزارت، وإليت، وهتزور وأراد وميتزفين ـ رامن وغيرها) يحرم القانون أن يقطنها غير اليهود.

وقد انعكست هذه السياسة كذلك على الثقافة والتعليم.

ونحن هنا في صميم المنطق الصارم للنظام الصهيونى وهو كيفية خلق أغلبية يهودية في بلد تسكنه طائفة عربية فلسطينية من السكان الأصليين؟

وطرحت السياسة الصهيونية الحل الوحيد المنبثق عن برنامجها الاستعمارى الاستيطانى: إنشاء مستعمرة إسكان بطرد الفلسطينيين، ودفع عجلة الهجرة اليهودية.

وقد كان طرد الفلسطينيين والاستيلاء على أرضهم عملية متعمدة ومنظمة. فالصهاينة أيام وعد بلفور في ١٩١٧، كان لا يملكون سوى ٢,٥٪ من الأراضى، ولدى صدور قرار «تقسيم» فلسطين، ٦,٥٪ أما في عام ١٩٨٢، فإنهم كانوا يملكون ٩٣٪ من الأراضى!.

وكانت الطرق المستخدمة لانتزاع الأراضى من سكانها الأصليين، هى نفسها طرق الاستعمار القاسية مع إضفاء الصبغة العنصرية المتميزة في حالة الصهيونية.

وقد اتخذت الخطوات الأولى طابع الاستعمار الكلاسيكى، أى استغلال اليد العاملة المحلية. وكان هذا هو أسلوب البارون إدوارد روتشيلد، وهو الأسلوب الذى كان يستخدمه في زراعته للعنب في الجزائر، والمتمثل في اليد العاملة الرخيصة للفلاحين، ولما مدّ أعماله إلى فلسطين، فإنه استغل في زراعاته للعنب، عربا آخرين هم الفلسطينيون.

وحدث نوع من التحول في المنحنى نحو عام ١٩٠٥، عندما وصلت من روسيا موجة جديدة من المهاجرين في أعقاب سحق ثورة ١٩٠٥. فبدلاً من مواصلة الكفاح إلى جانب الثوار الروس الآخرين في روسيا، فروا إلى فلسطين حاملين معهم نوعًا غريبًا من «الاشتراكية الصهيونية». حيث أنشأوا تعاونيات حرفية وكيبوتزات للفلاحين بعد أن استبعدوا الفلاحين الفلسطينيين لخلق اقتصاد يستند إلى طبقة عاملة وزراعية يهودية. ومنذ ذلك الحين، ارتبط الأمر باستبدال الشعب الفلسطينى بشعب آخر، وبطبيعة الحال الاستيلاء على الأرض.

وكانت نقطة الانطلاق الكبرى هى إنشاء «الصندوق القومى اليهودى» في عام ١٩٠١، الذى كان له طابعه الخاص المتمثل في أن

الأرض التى تقع في حوزته لا يمكن إعادة بيعها ولا تأجيرها لغير اليهود، لأنها أصبحت أراضى إسرائيل ».

وثمة إجراء آخر وهو استخدام « قوانين الطوارىء » التى أصدرها الإنجليز في عام ١٩٤٥ ضد اليهود والعرب.

وقد احتج القانونى اليهودى برنارد جوزيف ضد هذا التشريع عند صدوره لأن المواطن أصبح عرضة للحبس مدى الحياة دون محاكمة. وقد طبق هذا الشخص نفسه هذه القوانين ضد العرب عندما تولى وزارة العدل في إسرائيل. وفيما يتعلق بهذه القوانين كذلك، فإن جوزيف شبيرا أعلن فى مظاهرة احتجاج في شوارع تل أبيب في ٧ فبراير ١٩٤٦، أن هذا التشريع لا مثيل له في البلدان المتمدينة، ولم توجد حتى في ألمانيا النازية قوانين مماثلة ». ونفس هذا الشخص الذى أصبح نائبًا عاما ثم وزيرًا للعدل في دولة إسرائيل، طبق هذه القوانين ضد العرب ومبررًا ذلك بأن حالة الطوارىء لم تلغ منذ ١٩٤٨ في دولة إسرائيل.

وكتب شيمون بيريز في صحيفة دافار بتاريخ ٢٥ يناير ١٩٧٢ ما يلي: « إن استخدام القانون ١٢٥ (وهو قانون الطوارئ) الذي تقوم عليه الحكومة العسكرية، هو استمرار مباشر للنضال من أجل التأصيل اليهودى والهجرة اليهودية ». أما المرسوم الخاص بزراعة الأراضى البور، الصادر في عام ١٩٤٨، والمعدل في ١٩٤٩، فقد أباح لوزير الزراعة دون التذرع بالحجج، مصادرة الأراضى المهجورة. ولكن ما قامت به

القوى الصهيونية من تفريغ للأرض من سكانها العرب بالطرد والترويع والمذابح كما حدث في دير ياسين عام ١٩٤٨ ، ثم في كفر قاسم عام ١٩٥٦ ، قد « حرر » أراضي شاسعة تخلى عنها أصحابها من العرب ، وأعطيت للمحتلين اليهود .

ولمحو ذكرى وجود السكان الزراعيين الفلسطينيين والتأكيد على أسطورة « بلاد صحراء » ، دُمّرت القرى العربية وهُدِّمت منازلها وأسوارها وحتى قرافاتها وقبورها . وقد أورد الأستاذ إسرائيل شاحاك عام ١٩٧٥ قائمة بأسماء ٣٨٥ قرية عربية دمرت بالبولدوزر، وذلك من بين ٤٧٥ قرية كانت مسجلة في عام ١٩٤٨ . وقال وليتسنى الإقناع بأن فلسطين قبل إسرائيل لم تكن سوى « صحراء »، دكت مئات القرى بالبولدوزر وسويت بالأرض بيوتها وأسوارها وقرافاتها وقبورها» .

[المصدر : إسرائيل شاحاك، عنصرية دولة إسرائيل، ص ١٥٢ وما بعدها] .

واستمر زرع المستوطنات الإسرائيلية وازداد منذ ١٩٧٩ في الضفة الغربية، وطبقا للتقاليد الاستعمارية الكلاسيكية وهي تسليح المستوطنين . وكانت النتيجة الإجمالية هي الآتي : بعد طرد مليون ونصف مليون فلسطيني، أصبحت «الأرض اليهودية » كما يقول العاملون في «الصندوق القومي اليهودي »، تمثل اليوم ٩٣٪ من فلسطين بعد أن كانت ٥ , ٦٪ عام ١٩٤٧ .

وقد حُرِّف « قانون العودة » لصالح اليهود . فأي يهودي قادم من أي مكان يصبح مواطنًا إسرائيليا بمجرد ما تطأ أقدامه مطار تل أبيب، أما

الفلسطينى المولود في فلسطين ومن أبوين فلسطينيين ، فيجوز اعتباره عديم الجنسية .

ويقولون إن ليس في هذا أى تمييز عنصرى ضد الفلسطينيين ولكن مجرد إجراء في صالح اليهود ! .

والواقع أن من استقروا في إسرائيل ، فإن القليل منهم من جاء للوفاء « بالوعد » . وهذا من حسن الحظ ، لأن اليهود قد لعبوا دورًا بارزًا في كل بلدان العالم وفي كل ميادين الثقافة والعلوم والفنون ، ومما يحز في النفس أن تتوصل الصهيونية إلى تحقيق الغرض الذى وضعه المعادون للسامية وهو انتزاع اليهود من أوطانهم وحبسهم داخل جيتو عالمى .

فقد كان هناك ٢٥٠٠٠ يهودى عام ١٨٨٠ في فلسطين من بين ٥٠٠٠٠٠ نسمة من السكان .

وابتداء من عام ١٨٨٢ ، بدأت الهجرات الكبرى عقب عمليات ذبح اليهود في روسيا القيصرية .

وعلى ذلك فمن عام ١٨٨٢ وحتى عام ١٩١٧ ، وصل ٥٠٠٠٠ يهودى إلى فلسطين . ثم جاء المهاجرون البولنديون ويهود المغرب هربًا من الاضطهاد ، وذلك بين الحربين العالميتن .

ولكن أهم مجموعة ضخمة كانت المجموعة القادمة من ألمانيا بسبب معاداة هتلر للسامية ، فوصل نحو ٤٠٠٠٠٠ يهودى إلى فلسطين قبل عام ١٩٤٥ .

وفي عام ١٩٤٧ ، وعشية إنشاء دولة إسرائيل ، كان هناك ٦٠٠٠٠٠ يهودى في فلسطين من مجموع السكان البالغ قدره مليون وربع مليون نسمة .

وهنا بدأ الاجتثاث المنظم للفلسطينيين . فقد كان هناك قبل حرب ١٩٤٨ نحو ٦٥٠٠٠٠ عربى يعيشون في الأراضى التى ستصبح دولة إسرائيل . وفي ١٩٤٩ ، لم يتبق سوى ١٦٠٠٠٠ . وبسبب الخصوبة الشديدة وكثرة مواليدهم أصبحوا ٤٥٠٠٠٠ في نهاية ١٩٧٠ . وكشفت رابطة حقوق الإنسان في إسرائيل ، أنه في الفترة من ١١ يونيه ١٩٦٧ وحتى ١٥ نوفمبر ١٩٦٩ ، دُمّر ٢٠٠٠٠ منزل عربى بالديناميت في إسرائيل والضفة الغربية .

وكان التعداد البريطانى الذى أجرى في ٣١ ديسمبر ١٩٢٢ ، قد أحصى ٧٥٧٠٠٠ نسمة في فلسطين ، منهم ٦٦٣٠٠ من العرب (٥٩٠٠٠٠ من العرب المسلمين ، و ٧٣٠٠٠ من العرب المسيحيين) و ٨٣٠٠٠ يهودى (أى : ٨٨٪ من العرب و ١١٪ من اليهود) . والجدير بالذكر أن هذه « الصحراء » المزعومة كانت تصدر الحبوب والموالح . فقبل الصهاينة ، كان « البدو » يصدرون ٣٠٠٠٠ طن من القمح سنويا ، وزادت مساحة الأراضى المزروعة بالفواكه ثلاث مرات من ١٩٢١ إلى ١٩٤٢ ، وبالبرتقال وغيره من الموالح ، وتضاعفت سبعة مرات ، فيما بين ١٩٢٢و ١٩٤٧ ، وتضاعف الإنتاج عشرة مرات فيما بين ١٩٢٢ و ١٩٣٨ .

وجاء في تقرير بيل الذي قدم إلى البرلمان البريطانى في يوليه ١٩٣٧ ، بشأن صادرات الدول من سلال البرتقال الشتوى ، جاء ما يلى :

فلسطين : ١٥ مليون سلة .

الولايات المتحدة : ٧ ملايين سلة .

إسبانيا : ٥ ملايين سلة .

بلدان أخرى (قبرص ، مصر ، الجزائر ، . . إلخ) ٣ ملايين .

[المصدر: تقرير بيل ، ص ٢١٤] .

وكتبت صحيفة اديعوت أحرونوت اليومية ، ذات أكبر توزيع في إسرائيل تقول :

« منذ السبعينات ، لم يحدث مثل هذا التسريع بالإنشاء والتشييد في الأراضى (المحتلة) فاريل شارون مشغول بإنشاء مستوطنات جديدة ، وتطوير المستوطنات الموجودة ، وبناء الطرق وإعداد مساحات جديدة للبناء » .

ومن الوهم الاعتقاد في أى « استقلال ذاتى » حقيقى للفلسطينيين مع الإبقاء على المستوطنات اليهودية في الأراضى المحتلة ، وحمايتها بالجيش الإسرائيلى ، وتسليح المستوطنين ، فهذا يجعل من المستحيل قيام أى سلام طالما استمر الاحتلال في الواقع .

وتبذل الجهود الرئيسية للاستيطان الاستعمارى في القدس بهدف جعل قرار ضمها بالكامل نهائيا ولا رجعة فيه، وهو ما شجبته الأمم المتحدة (بما في ذلك الولايات المتحدة!).

إن المستوطنات الاستعمارية في الأراضى المحتلة هى انتهاك فاضح للقوانين الدولية وخاصة اتفاقية جنيف الصادرة في ١٢ أغسطس ١٩٤٩، والتى تنص المادة ٤٩ منها على ما يلى: « لا تستطيع القوى المحتلة القيام بأى نقل لجزء من سكانها المدنيين إلى الأراضى التى تحتلها ».

وحتى هتلر لم ينتهك القانون الدولى، فهو لم يُسكِّن أى مستوطن مدنى ألمانى في الأراضى التى طرد منها الفلاحين الفرنسيين.

وحجة « الأمن » و « إرهاب » الانتفاضة، هى حجج واهية، والأرقام تتحدث عن نفسها في هذا الصدد: فقد قتل ١١١٦ فلسطينيا منذ بداية الانتفاضة (ثورة الحجارة)، في ٩ ديسمبر ١٩٨٧، وبرصاص العسكريين والشرطة والمستوطنين.

والمصادر العسكرية تتحدث عن ما يقرب من عشرين ألفا من الفلسطينيين الجرحى، أما الأونروا فتتحدث عن تسعين ألفا.

وحسب المنظمات الإنسانية، اعتقل ١٥ ألف فلسطينى في ١٩٩٣ في السجون وفي مراكز الاعتقال التابعة للجيش الإسرائيلى. وتوفى ١٢ فلسطينيًّا في السجون الإسرائيلية منذ بداية الانتفاضة وفي ظروف

غامضة . وتشير هذه المنظمات الإنسانية أيضا إلى أنه قد جرى تعذيب ٢٠ ألف فلسطينى على الأقل أثناء الاستجوابات .

وهذا الكم الهائل من انتهاكات القانـون الدولى مرجعه نظرة إسرائيل إلى القانـون الدولى الذى يعتبـر بالنسبـة لها مجرد « قصـاصة ورق » لا قيمـة لهـا ، أو كمـا يقـول « الأستـاذ إســرائيل شـاحـاك» : «لأن هـذه المستـوطنـات ، بطبيعتهـا ، تنـدرج ضمن نسق متكـامل ، من النهب والسلب ، والتفرقة والفصل العنصرى » .

[المصدر: المرجع السابق ، ص ـ ٢٦٣] .

●●●



ثالثًا
الاستخدام السياسى للأسطورة

١ ـ اللوبى فى الولايات المتحدة

« إن تأثير رئيس الوزراء الإسرائيلى على السياسة الخارجية للولايات المتحدة في الشرق الأوسط يفوق بكثير تأثيره في بلده » .

بول فندلي «يتجرؤن علي الكلام» ؛ ص ٩٢

كيف أثارت هذه الأساطير العقائد التى يصعب اقتلاعها من أذهان ملايين الناس من ذوى النيات الطيبة؟

ـ بإنشاء اللوبيات القوية القادرة على توجيه أفعال السياسيين وتكييف الرأى العام . وتتلاءم طرق العمل مع ظروف كل بلد .

ففى الولايات المتحدة حيث يعيش ٦ ملايين من اليهود ، فإن الصوت الانتخابى اليهودى » يمكن أن يكون حاسمًا ، لأن غالبية الناخبين (بسبب الرقم المرتفع للممتنعين عن التصويت وانعدام المشاريع الشاملة المتباينة بين الحزبين) تتوقف على أقل القليل ، ويمكن إحراز الفوز بفارق بسيط .

وبالإضافة إلى أن قابلية الرأى العام للتبخر والتى تتوقف إلى حد كبير على « مظهر » المرشح أو على مهارة أدائه في التليفزيون ، ترتهن أيضا بميزانيات لجانه و إمكانيات « تسويقه » السياسى .

وأقوى لوبى معترف به في الولايات المتحدة هو « إيباك » (لجنة الشئون العامة الأمريكية ـ الإسرائيلية) .

ولقد كانت قـوة الصهاينة في الولايات المتحدة على أشـدها بالفعل عام ١٩٤٢ ، بحيث قرر الاتفـاق الذى أبرم فى فندق بلتيمـور بنيويورك أنـه ينبغى الانتقال من فكـرة « وطن يهـودى في فلسطين» (وهو الـذى وعـد به بلفـور) ، إلى إنشـاء دولة يهـوديـة ذات سيادة . وهنـا تكمن الازدواجية التى عـرفت بها الصهيونيـة طوال تـاريخها . فالجميع كـانوا يتحدثـون عن «وطن » كما لو كـان الأمر يتعلق بمقـر روحى أو ثقافى ، ولكنهم كانوا يفكرون في الواقع في « دولـة »، كهرتزل نفسه . وإلى هذا أشـار الجنـرال سمطس ، عضـو حكومـة الحـرب ، عنـدمـا أعلن في جوهانسبرج بتاريخ ٣ نوفمبر ١٩١٥ : « خلال الأجيال القادمة ، سترون قيام دولة يهودية كبرى مرة أخرى هناك (أى في فلسطين) » .

وكتب لورد كيرزون في ٢٦ يناير ١٩١٩ يقول : « بينما ويزمان يقول شيئا ، وأنت تفكر أن هذا الشيء هو « وطن قـومى يهودى » ، فإنه يرمى إلى شيء آخـر مختلف تمـامـا ، إنـه يتطلع إلى دولـة يهـوديـة ، وإلى إخضاع السكـان العرب لحكم اليهود . إنـه يسعى إلى تحقيق ذلك من وراء الستار ، وبحماية الضمان البريطانى » .

وقد شرح ويزمـان بوضوح للحكومة البريطانيـة أن هدف الصهيونية هو إنشـاء « دولة يهودية » (بهـا أربعة أو خمسة ملايين يهـودى) . وقد أعطاه لـويد جورج وبلفور التأكيـدات على أنه باستخـدام عبارة « وطن قومى » فى إعلان بلفور ، فإننا نقصد بذلك دولة يهودية » .

وفي ١٤ مـايو ١٩٤٨ ، أعلن بن جـوريون في تل أبيب استقـلال : «الدولة اليهودية في فلسطين والتى ستسمى : إسرائيل » .

وحول الاختـلاف في الرأى بين بن جوريـون الذى كان يـرى أنه من الـواجب على كل يهودى في العـالم القدوم للعيش في هـذه الدولـة ، وبين المنادين بـأن نشاط اليهود في الـولايات المتحـدة يعتبر أهم وفي صالح إسرائيل نفسها ، فقد نجح هذا التيار الأخير في ذلك ، ولم يستقر في إسـرائيل سوى ٥٤٠٠ يهـودى من بين ٣٥٠٠٠ أمريكى أو كنـدى هاجروا إلى إسرائيل .

[المصـدر : ملفين روفيسكى ، اليهـوديـة الأمـريكية وإسـرائيل ، نيـويـورك ، ١٩٧٨ ، ص ـ ٢٦٥] .

وقبلت إسرائيل في الأمم المتحدة بفضل الضغوط الوقحة للوبى .

وعن قوة اللـوبى الصهيونى « والصـوت الانتخابى اليهـودى » صرح الريئس ترومان نفسه أمام مجمـوعة من الديبلوماسيين في عام ١٩٤٦ : « آسف أيها السادة ، ولكن علىّ أن أستجيب لمئات الآلاف من الناس الـذين ينتظـرون فـوز الصهيـونيـــة ، وليس لـدى آلاف العـرب من بين ناخبي» .

[المصـدر : وليم إيـــدى ، روزفلت وابن ســعود ، نيـــويـورك ، ١٩٥٤ ، ص ـ ٣١] .

ويشهد رئيس الوزراء السابق كلمنت إتلى على ذلك بقوله :

« إن سياسة الولايات المتحدة في فلسطين يشكلها الصوت الانتخابي اليهودى، والإعانات المقدمة من العديد من الشركات اليهودية الكبرى» .

وقد أوقف أيزينهاور بالاتفاق مع السوفييت ، العدوان الإسرائيلى في عام ١٩٥٦ (بدعم من الزعماء الإنجليز والفرنسيين) على قناة السويس .

ولم يبد السناتور كنيدى أى حماس حيال هذه المسألة . ولكن الرابطات اليهودية استطاعت في عام ١٩٦٠ أن تبيّن له أن موقف أيزنهاور في مسألة السويس كان سيئًا وأن ترومان كان يسير في الطريق السليم . . وأخذ كنيدى بهذه النصيحة عندما اختير مرشحًا للحزب الديمقراطى، وحصل على ٥٠٠٠٠٠ دولار لحملته الانتخابية من اليهود، وعلى ٨٠٪ من أصوات الناخبين اليهود، عين كلوتزنيك، رئيس مؤتمر الرابطات اليهودية في أمريكا، مستشارًا له » .

[المصدر : ملفين روفيسكى، المرجع السابق ، ص ٢٦٥].

وفي أول مقابلة له مع بن جوريون في فندق وولدورف استوريا في نيويورك في ربيع ١٩٦١ ، قال له كنيدى : « أعرف تمامًا أننى انتخبت بفضل أصوات اليهود الأمريكيين. وأنا أدين لهم بانتخابى. وقل لى ماذا علىّ أن أفعله من أجل الشعب اليهودى » .

[المصدر: ادوارد تيفانان : اللوبى ، ص ٥٦] .

وبعد كنيدى ، ذهب ليندن جونسون أبعد من ذلك فقد كتب أحد الدبلوماسيين الإسرائيليين : « لقد فقدنا صديقا كبيرا ولكننا وجدنا أفضل منه . . إن جونسون هو أفضل صديق عرفته الدولة اليهودية فى البيت الأبيض » .

[المصدر: ل. كنيان، خط إسرائيل الدفاعى، بافالو، ١٩٨١ ، ص ٦٦] .

فقد ساند جونسون بالفعل حرب الأيام الستة فى عام ١٩٦٧ ، وبكل قوة . ومنذ ذلك التاريخ ، دافع ٩٩٪ من اليهود الأمريكان عن الصهيونية الإسرائيلية . « وأن تكون يهوديا اليوم يعنى أن تكون مرتبطا بإسرائيل » .

[المصدر: شالوموا فنيرى ، قيام الصهيونية الحديثة، ١٩٨١ ، ص ـ ٢١٩] .

وفى نوفمبر ١٩٨٧ ، صدر القرار ٢٤٢ الذى يقضى بالجلاء عن الأراضى المحتلة أثناء الحرب ، وقام ديجول بعد هذا العدوان بإعلان حظر الأسلحة المرسلة إلى إسرائيل .

وحذا البرلمان الأمريكى حذوه . ولكن جونسون رفعه في ديسمبر تحت ضغط « الإيباك » ، وسلّم إسرائيل طائرات الفانتوم التى طلبتها . وبناء على ذلك ، لم توجه إسرائيل النقد لحرب فيتنام .

وعندما حضرت جولدا مائير إلى الولايات المتحدة في عام ١٩٧٩ ،

شبهها نيكسون «بديبورا التوارتية» وكال لها المديح على ازدهار إسرائيل.

[المصدر : ستيفن سبيجل النزاع العربي الإسرائيل الآخر، ١٩٨٥، ص- ١٨٥].

وسلم نيكسون لإسرائيل ٤٥ طائرة فانتوم إضافية إلى جانب ٨٠مقاتلة سكاى هوك.

وتوفى عبد الناصر فى ٨ سبتمر ١٩٧٠، عرض السادات السلام مع إسرائيل. ورفض موشى ديَّان، وزير الدفاع، على الرغم من معارضة وزير الخارجية أبا إيبان.

وفي ٦ أكتوبر ١٩٧٣، شن السادات الحرب التى سميت باسم «يوم كيبور» (حرب أكتوبر) والتى دمرت سمعة السيدة جولدا مائير واضطرتها إلى الاستقالة في ١٠ أبريل ١٩٧٤، وكذلك موشى ديان.

ورغم ذلك، أحرز لوبى الكابيتول اليهودى في واشنجتن نصرًا كبيرًا بالتعجيل بتسليح إسرائيل: ملياران من الدولارات بحجة مكافحة اللوبى العربى المنافس.

[المصدر: نيف، محاربو القدس، ص-٢١٧].

وأضيفت أموال البنوك اليهودية في وول ستريت إلى المعونة الحكومية.

وحشدت الإيباك وعبأت نفسها من جديد وحصلت في ثلاثة أسابيع على توقيع ٧٦ سناتورا في يوم ٢١ مايو ١٩٧٥ لمطالبة الرئيس فورد بدعم لإسرائيل مثلهم .

أما مسيرة جيمى كارتر فكانت موضوعة : ففى معبد اليزابيث في نيوجرسى ، وكان مرتديًا ثوبًا فضفاضًا من القطيفة الزرقاء ، أعلن :

« إننى أعبد نفس الرب مثلكم . ونحن المعمدانيين ندرس نفس التوراة مثلكم » . وختم يقول : إن بقاء إسرائيل على قيد الحياة لا ينهض على السياسة ، ولكنه واجب أخلاقى » .

[المصدر : التايم ، ٢١ يونية ١٩٧٦] .

وفي نوفمير ١٩٧٦ ، حضر ناحوم جولدمان ، رئيس المؤتمر اليهودى العالمى ، إلى واشنجتن لمقابلة الرئيس ومستشاريه ، فانس وبريجينيسكى ، وأعطى إدارة كارتر هذه النصيحة غير المتوقعة : حطموا اللوبى الصهيونى في الولايات المتحدة » .

[المصدر : شتيرن ، نيويورك ، ٢٤ إبريل ١٩٧٨] .

وكان جولد مان قد كرس حياته للصهيونية ولعب دورا هامًا في اللوبى منذ أيام ترومان ، وهو يقول اليوم إن ماكونته بنفسى كانت « قوة مدمرة غاشمة » وعقبة رئيسية « أمام السلام في الشرق الأوسط » .

وكان بيجين في الحكم ، فقرر جولدمان نسف سياسته ، وإن

استدعى ذلك تدمير مجموعة الضغط التابعة له .

وبعد مضى ست سنوات ، أكد سيروس فانس هذه المقابلة وقال : لقد اقترح علينا جولدمان سحق اللوبى ، ولكن الرئيس ووزير الخارجية ردا بأنهما لا يملكان القدرة على ذلك ، وأن ذلك قد يفتح الباب على مصراعيه أمام معاداة السامية » .

[-المصدر: اللوبى، ١٩٨٧ ، ص-١٢٣] .

وقد رحب رجال الأعمال الأمريكيون باتفاقات كامب ديفيد (سبتمر ١٩٧٨)(حيث عقد السادات سلامًا منفردا مع إسرائيل ، لا يمس الضفة الغربية (يهودا وسامرا ، الأراضى التوراتية حسب قول بيجين) ولم يتناول سوى سيناء ، وهى بالنسبة لبيجين ، ليست بأرض توراتية .

[المصدر: ستيفان إسحاق، اليهود والسياسة الأمريكية، ١٩٧٤ ، ص- ١٢٢] .

وكان كارتر في عام ١٩٦٨ ، قد حصل على ٦٨٪ من أصوات اليهود ، وفي عام ١٩٨٠ لم يحصل إلا على ٤٥ ٪ فقط ، لأنه باع طائرات ف ١٥ لمصر وطائرات أواكس للمملكة العربية السعودية ، رغم تأكيداته أن هذه الطائرات لن تستخدم أبدا ضد إسرائيل . ورغم ذلك فقد هزمه ريجان في ١٩٨٠ الذي أفرد وعلى العكس منه ٦٠٠ مليون دولار من الائتمانات العسكرية لإسرائيل . وقد شجع ذلك بيجين على تدمير المحطة العراقية النووية ، التى بناها الفرنسيون

متذرعا في ذلك بالأسطورة المقدسة : « لن يكون هناك هو لوكوت آخر أبدا ». وفي ١٧ يولية ١٩٨١ ، قصف بيجين غرب بيروت لتدمير قواعد منظمة التحرير الفلسطينية كما ادعى .

وفي ١٤ ديسمبر ١٩٨١ ، ضم بيجين الجولان . واحتج ريجان على هذا الخرق الجديد للقرار ٢٤٢ ، فثار بيجين وقال : هل نحن جمهورية من جمهوريات الموز، أو دولة تابعة لدولتكم؟ » .

وفي السنة التالية ، اجتاح بيجين لبنان . وأعطى الجنرال هيج وزير الدفاع الأمريكي ، الضوء الأخضر لهذا الغزو الذى يهدف إلى فرض حكومة مسيحية في لبنان .

[المصدر : زيف شيف ، حرب إسرائيل في لبنان، ١٩٨٤].

وقلة هم الأمريكان الذين انتقدوا هذا الغزو، مثلما كانت قلة من اليهود هى التى انتقدت حرب فيتنام . ولكن مذابح صبرا وشاتيلا ، تحت سمع وبصر شارون وإيتان ، والصور التى عرضها التليفزيون ، أجبرت اللوبي اليهودى على الكلام والخروج عن الصمت . وانتقد نائب رئيس المؤتمر اليهودى العالمى هرتزبرج ، وعدد كبير من الحاخامات، بيجين فى أكتوبر ١٩٨٢ . واتهم بيجين الحاخام شندلر، الذى أذاع هذا النقد في التليفزيون بأنه « أمريكى أكثر منه يهودى » ، واتهمه بعضهم بأنه عميل .

وبهذه المناسبة ساند المسيحيون الصهاينة فى الاعتداء الإسرائيل ، وتسلم رئيسهم جيرى فالول ، أعلى الأوسمة الصهيونية وهى جائزة جابوتينسكى على ما أداه من خدمات لإسرائيل ، بالإضافة إلى ١٠٠ مليون دولار من الدولة الإسرائيلة و : ١٤ مليون دولار من مؤسسة سواجيرت .

[المصدر: التايم، ١٧ فبراير ١٩٨٦] .

وبهذا أصبحت القوة المالية ، وبالتالى السياسية في عالم يباع فيه كل شيء ويشترى ، هى القوة الحاسمة والفاصلة .

ومنذ عام ١٩٤٨ ، ٠ قدمت الولايات المتحدة لإسرائيل ٢٨ مليار دولار كمساعدة اقتصادية وعسكرية .

[المصدر : مجلة التايم ، يونيه ١٩٩٤] .

●●●

وبعد أن اطمأن الزعماء الإسرائيليون على تدفق الأموال من الخارج والمتمثلة في :

١ ـ التعويضات الألمانية والنمساوية .

٢ ـ السخاء غير المشروط للولايات المتحدة .

٣ ـ تحويلات أبناء « الشتات» .

بـدأوا في وضع تصـور لسياستهم الخـارجيـة قائمـة على تطلعـات طموحة لإنشاء « إسرائيل الكبرى »

والشـاهـد على ذلك، المقـال الـذى نشـرتـه مجلـة « كيفـونيم » (التوجهـات) التى تصدرها في القـدس المنظمة الصهيونية العـالمية، وعنوانه : الخطط الاستراتيجية لإسرائيل في الثمانينات ».

« إن مصر بوصفها جسـدًا مركزيًا، فإن هذا الجسـد قد مات لاسيما لو أخذنا في الاعتبار المجابهة التى تزداد بين المسلمين والمسيحيين . كما أن تقسيمها إلى مقاطعات جغرافيـة منفصلة يجب أن يكون هدفنا السياسى في التسعينات، على الجبهة الغربية .

فإذا مـا تفككت مصر وحـرمت من السلطة المـركزيـة، فإن بلدانـا أخرى مثـل ليبيا والسودان وغيـرهما مـن البلدان الأبعد، ستعـرف نفس التفكك . ويعتبر تشكيل دولة قبطية في صعيـد مصر، هو مفتاح الحل لتطور تـاريخى تأخـر اليوم بسبب اتفاق السـلام، ولكن لابد منـه على المدى الطويل .

ورغم المظاهـر، فإن الجبهة الغـربية تمثل مشاكل أقـل من مشاكل الشرق . ويجسد تقسيم لبنان إلى خمس محافظات . . . ما سيحدث في العالـم العـربى بأسره . وتفكك سـوريا والعراق إلى منـاطق محددة على أسـاس المعاييـر العرقيـة أو الدينيـة ينبغى أن يكون على المـدى

الطويـل هدفا ذا أولـوية لإسـرائيل، على أن تكون الخطـوة الأولى هى تحطيم القوة العسكرية لهاتين الدولتين.

فالهيـاكل العرقيـة في سوريـا تعرضهـا للتفكك الذى قـد يؤدى إلى إنشاء دولـة شيعية على طول السـاحل، ودولة سنيـة في منطقة حلب، وأخرى في دمشق، وكيان درزى قد يرغـب فى تشكيل دولته الخاصة به ــ وربمـا فـوق هضبـة الجـولان ــ وعلى أى حـال مع حـوران وشمـال الأردن. . . ومثل هـذه الدولـة ستصبح على المدى الطـويل، ضمانـا للأمن والسلام في المنطقة. وهو هدف في متناول يدنا بالفعل.

والعـراق الغنى بالبتـرول، والمـرتع للمنازعـات الـداخلية هـو خط التسـديـد الإسرئيلـى. وتفكيكه سيكـون بـالنسبـة لنـا أهم من تفكيك سوريا، لأنه يشكل على المدى القصير أخطر تهديد لإسرائيل».

[المصدر: كيفونيم، فبراير ١٩٨٢، الصفحات ٤٩ ـ ٥٩].

ورد النص الكـامل باللغـة العبريـة وتـرجمته الفـرنسية في كتـاب: فلسطين: أرض الـرسالات السماويـة، باريـس، ١٩٨٦، الصفحات ٣٧٧ وحتى ٣٨٧).

وعندمـا تصبح أهداف خطـة كيفونيـم بعيدة التحقيق، والمجـابهة محفوفـة بالمخـاطر، فإن اللـوبى الإسرائيلى كان ينجح دائمـا في دفع الولايـات المتحدة إلى القيام بـالعملية. والحرب ضـد العراق هى مثل صارخ على ذلك.

فقد قامت مجموعتان من مجموعات الضغط إلى دفع الولايات المتحدة إلى شن هذا العدوان :

١ ـ اللوبى اليهودى، لأن القضاء على صدام حسين سيزيل خطر أقوى بلد عربي . . .

٢ ـ لوبى رجال الأعمال، الذى كان يعتقد أن الحرب سوف تنعش الاقتصاد الأمريكى . .

[المصدر : آلان بيرفيت، بيرفيت، الفيجارو، ٥ نوفبر ١٩٩٠].

وكان الزعماء الصهاينة لا يخفون الدور الذى يلعبه اللوبى ويمتدحونه ويشجعون عليه في جميع أحاديثهم .

ولكن الخلط بين اليهودية كدين محترم كغيره، وبين الصهيونية السياسية التى تفترض الولاء غير المشروط لدولة إسرائيل التى حلت محل « رب إسرائيل » سيؤدى حتمًا إلى تغذية معاداة السامية ويشجع على الغطرسة الإسرائيلية .

« منذ عقود ، يحاول اليهود الأمريكان جاهدين إقناع الرأى العام الامريكى أن دعمهم غير المشروط لإسرائيل لا يطعن أو ينال من ولائهم وإخلاصهم تجاه الولايات المتحدة . ولكنه من الصعب الآن أن نثق في ذلك، فالولاء المزدوج قد اتضح » .

[المصدر : هارتيس ، ١ ديسمبر ١٩٨٥].

والأمثلة على أن اللوبى الإسرائيلى قد نجح في فرض موقف مضاد

للمصالح الأمريكية ولكنه مفيد لسياسة إسرائيل، لا حصر لها، وهناك من الأدلة ما يشير إلى الكيفية التى جعلت مطالب الإسرائيليين تتقدم على مصالح الولايات المتحدة وهاك بعض الأمثلة:

كان رئيس لجنة الشئون الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكى، السناتور فولبريت، قد قرر مثول القادة الصهاينة الرئيسيين أمام لجنة للكشف عن أنشطتهم السرية. وأوجز نتائج تحقيقه في مقابلة أجراها مع تليفزيون C . B. S فى أكتوبر ١٩٧٣، قائلا: « إن الإسرائيليين يتحكمون في سياسة الكونجرح ومجلس الشيوخ »، وأضاف: « إن زملاءنافى مجلس الشيوخ وبنسبة ٧٠٪ منهم لا يحددون مواقفهم إلا تحت ضغط اللوبى وليس برؤيتهم الخاصة القائمة على مباديء الحرية والقانون ».

وفى الانتخابات التالية فقد فولبريت مقعده في مجلس الشيوخ.

ومنذ ذلك التاريخ، زاد اللوبى من سيطرته على السياسة الأمريكية. وقد وصف بول فندلى اللوبى الصهيونى وقوته وهذا « الفرع الحقيقى للحكومة الإسرائيلية » يتحكم فعلاً في الكونجرس ومجلس الشيوخ ورئاسة الجمهورية ووزارة الخارجية والبنتاجون (وزارة الدفاع)، وكذلك في وسائل الإعلام، كما أنه يمارس نفوذه على الجامعات كما في الكنائس ».

وحدث أن ألغى مجلس النواب في ٣ أكتوبر ١٩٨٤، بأغلبية

٩٨٪، كل تحديد للمبادلات بين إسرائيل والولايات المتحدة رغم التقرير المضاد لوزارة التجارة وجميع النقابات .

وفى ٨ يونيه ١٩٦٧ ، قذف الطيران والبحرية الإسرائيليان الباخرة الأمريكية « ليبرتى »، وقتل في هذه العملية ٣٤ بحارًا وجرح ١٧١ ، واعتذرت الحكومة الإسرائيلية عن هذا الحادث وحفظت القضية . وثبت بعد ذلك أن هذا القذف لم يكن نتيجة خطأ ولكن كان متعمدًا حتى لا تكتشف خطط إسرائيل لغزو الجولان . ويفسر الأميرال توماس مورر سر التغطية على هذه الجريمة قائلا : كان الرئيس جونسون يخشى رد فعل الناخبين اليهود . . . » ويضيف الأميرال : «وكان الشعب الأمريكى سيجن جنونه إذا عرف بما جرى » .

وفي أعقاب اقتراح السناتور بوب دول بنقل سفارة الولايات المتحدة إلى القدس ، وطلب جامعة الدول العربية عقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن، وتصويت ١٤ دولة من ١٥ على قرار يطالب رابين بالعدول عن قرار مصادرة الأراضي في القدس الشرقية، استخدمت الولايات المتحدة للمرة الثلاثين حق الفيتو لمساندة إسرائيل . . . وقد أقلق هذا التصرف اللوبى الذي رأى أن في ذلك عزل للولايات المتحدة سيقلل من «مصداقيتها كوسيط وحيد في النزاع العربى ـ الإسرائيلى وفي قيادة المفاوضات مع الفلسطينيين . (جريدة النيويورك تايمز ١٥ / ٥ / ١٩٩٥) .

وفي خلال الاجتماع السنوى للإيباك ، شدّد الرئيس كلينتون ، الذي

دعى لحضوره على ضخامة المعونة العسكرية التى تقدمها الولايات المتحدة لإسرائيل :

« لقد أوفت الولايات المتحدة بوعدها : فالقوة العسكرية لإسرائيل الآن هى الأقوى عنها في أى وقت مضى . . وإن تعاوننا في مجال الاستراتيجية والمخابرات أصبح تعاونًا وثيقًا تمامًا . وأجرينا هذا العام مناورات مشتركة على نطاق واسع ونتوخى التوسع في منشآتنا لتخزين المعدات الحربية في إسرائيل . وقد أبرم البنتاجون عقودًا بأكثر من ٣ ملايين من الدولارات لشراء معدات عالية التكنولوجيا من شركات إسرائيلية . . »

[المصدر : ميدل إيست انترناشيونال، ٢٦ / ٥ / ١٩٩٥] .

وكل الوسائل بالنسبة للوبى الصهيونى ملائمة وجيدة، بدءًا من الضغط المالى وحتى الابتزاز الأخلاقى مرورا بمقاطعة وسائل الإعلام والناشرين، والتهديد بالقتل .

وفي ذلك يقول فندلى : « إن أى إنسان ينتقد سياسة إسرائيل ، عليه أن يتوقع عمليات انتقام موجعة لا تنتهى ، وحتى فقدان سبل معيشته بواسطة ضغوط اللوبى الإسرائيلى . والرئيس نفسه يخاف منه . والكونجرس يخضع لكل مطالبه . وتحرص أعرق الجامعات على إبعاد كل ما يتعارض معه في برامجها، وتستسلم وسائل الإعلام كما يخضع القادة العسكريون لضغوطه » .

٢ـ اللوبى في فرنسا :

« يوجد في فرنسا لوبى قوي مناصر لإسرائيل ، يمارس نفوذه وتأثيره في الدوائر الإعلامية خاصة .

وقد أثارت هذه المقولة الجنرال ديجول في ذلك الوقت وأثارت صخبًا شديدًا ، مع أنها تحمل جزءا كبيرا من الحقيقة

[المصدر : فيليب الكسندر، لمباريزيان ليبيريه، ٢٩ / ٢ / ١٩٨٨].

ومنذ ذلك الحين ، لم يتخلف أى مرشح لرئاسة الجمهورية الفرنسية ، مهما كان انتماؤه الحزبى ، من ميشيل روكار إلى جاك شيراك ، مرورًا بميتران ، عن الذهاب إلى إسرائيل ليحصل على المباركة و التغطية الإعلامية .

ولقد وصلت القوة الإعلامية للوبى ، ومركزه اليوم الرابطة الدولية لمناهضة العنصرية ومعاداة السامية « ليكرا » ، إلى الحد الذى تستطيع به أن تتلاعب بالرأى العام على هواها وحسبما يتراءى لها ؛ ومع أن السكان اليهود في فرنسا لا يشكلون سوى نحو ٢٪ من الشعب الفرنسى، فإن الصهيونية تهيمن على غالبية متخذى القرار السياسيين في أجهزة الإعلام والتليفزيون والإذاعة ، والصحافة المكتوبة ، سواء كانت الصحف اليومية أو الأسبوعية ، والسينما وخاصة مع غزو هوليوود لها ـ وحتي دور النشر (وذلك عن طريق لجان القراءة حيث يتسنى لهم

فـرض الفيتـو)، فقــد أصبح كل ذلك في أيـديهم، وكــذلك قطـاع الإعلانات، الوصى المالى على وسائط الإعلام .

ويمكننى أن أطـرح في هـذا الصـدد شهــادتى الخـاصـة : فحتى ١٩٨٢ ، كـانت أبـواب دور النشـر الكبرى مفتـوحـة على مصـراعيهـا أمامى، وكذلك التليفزيون والإذاعة والصحافة الكبرى .

وعندما وقع الاعتداء على لبنـان ومذابحه، استطعت أن أحصل من مدير التحريـر السيد جاك فوفيه على موافقته أن أنشر في جـريدة لموند الصادرة في ١٧ يونيه ١٩٨٢ ، صفحة كاملة مدفوعة الأجر حيث كشفنا أنا والأب ميشيل لولون، والقس ماتيـو ، عن مغزى العدوان الإسرائيلى وأبرزنـا المذابح التى وقعت في لبنان، وأوضحنـا أن الأمر لا يتعلق بأى خطأ، بل بالمنطق الداخلـى للصهيونية السياسية التى تقـوم عليها دولة إسرائيل .

وتلقيت سواء بخطـابات مغفلة من الإمضاءات أو بـالتليفون، تسعة تهديدات بالقتل .

ورفعت علينـا « ليكرا » قضيـة بتهمة « العداء للسـامية والتحـريض على التمييز العنصرى ».

وقام دفاعنـا على ما جاء في النص نفسه الذى نشرنـاه من أن حياتنا مدينة للأنبياء اليهود، ولكن الصهيونية السياسية استبدلت رب إسرائيل

بدولة إسرائيل . وأن موقفها وتصرفاتها في لبنان وفلسطين تشين اليهودية في عيون العالم . وأن معركتنا ضد الصهيونية السياسية لا تتفاضل عن معركتنا ضد معاداة السامية .

وقام دفاعى أمام المحكمة على ما جاء في دراستى حول «فلسطين، أرض الرسالات الإلهية » : إن الصهيونية السياسية التى أسسها تيودور هرتزل (والتى أدانها كل حاخامات العالم في ذلك الحين بوصفها نوعا من الخيانة للديانة اليهودية) ، تنبع من القومية الأوروبية والاستعمار في القرن التاسع عشر، ليس من الديانة اليهودية .

وعندما سمعت محامى « ليكرا » وهو يحاول أن يرسم ضدى صورة المعادى للسامية ، عادت بى الذاكرة إلى القدس وأنا أمام حائط المبكى مصحوبا بالوزير الإسرائيلى برزياى وفي بيت ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمى في ذلك الوقت .

كما عادت بى الذاكرة إلى أيام كنت فى معسكر الاعتقال مع صديقى برنار لاكاش، مؤسس « ليكا » (التى أصبحت « ليكرا ») والذى ساعدنى في إعداد محاضراتى لأصدقائنا حول « أنبياء إسرائيل» .

لقد فرضت الهيمنة شبه الكاملة على أجهزة الإعلام في أمريكا وفرنسا من ظروف الصهيونية الإسرائيلية ، على العالم أجمع هذا الخلط

والقلب للمعـانى ، فـالدفـاع عن الـوطن أصبح إرهـابـا ، أما إذا غـزت إسرائيل لبنان فالعملية تسمى « السلام في الخليل » ! .

وقد سبق للجنرال ديجول في عـام ١٩٦٩ أن ندد « بالنفوذ المفرط » للـوبى الصهيـونـى في جميع أجهـزة الإعـلام : من الصحـافـة إلى التليفزيون، ومن السينما إلى صناعـة النشر. وقد نجح اليوم هذا النفوذ المفـرط في إجراء عكس تـام للمعـانى، وأطلق عبارة « إرهـاب » على المقاومة الشعبية للضعفاء، « والمعركـة ضد الإرهاب » بالعنف الأشد قتلا للأقوياء .

وقد ارتكبنا ، الأب لولون والقس مايتـو وأنا خطأ كبيرا بفضح أكذوبة هذا الخلـط للمعانى . ولكن المحكمـة برأتنا فـي ٢٤ مارس ١٩٨٣ ، ورفضت القضية وحكمت على « ليكرا » بالمصاريف ، على أساس أن الأمر يتعلق بنقد مشروع لسياسة دولة مـا والأيديولوجية التى تستلهمها ، ولا يتعلق بـالتحريض العنصـرى . . ولكن « ليكـرا » تمادت في غيهـا واستأنفت الحكم ، ولكن المحكمـة العليـا في بـاريس أيـدت الحكم السابق وألزمت « ليكرا » بالمصاريف . وهو ما حدث أيضا في محكمة النقض التى رفضت الطعن وحكمت بالمصاريف .

واستمرت عملية الخنق خارج المحـاكم . فاللوبى الصهيونى يمتلك الوسائل . وبدأت التحركات لكتم أنفاسى في وسائل الإعلام . فلم تقبل

مقالاتى وأغلقت جميع أبواب النشر في وجهى، وحُرم عليَّ الظهور في التليفزيون! لقد حُكم عليّ بالإعدام الأدبي!

ومما زاد الطين بلة، صدور قانون فابيوس (رقم ٤٣) المسمى «قانون جيسو» على اسم النائب الشيوعى الذى تبنى هذا القانون الخسيس في مايو ١٩٩٠ والذى يجرم أى تشكيك في الجرائم المقترفة ضد الإنسانية، بإضافة المادة ٢٤ مكرر إلى قانون حرية الصحافة لعام ١٨٨١، جاء فيها: يعاقب بإحدى العقوبات المنصوص عليها في الفقرة السادسة من المادة ٢٤، كل من ينكر.. وجود أى من الجرائم المرتكبة ضد الإنسانية كما وردت في المادة ٦ من النظام الأساسى للمحكمة العسكرية الدولية الملحق باتفاق لندن الموقع في ٨ أغسطس ١٩٤٥».

وبعد مضى عام، اقترح السيد توبون تعديله ولكن دون جدوى محتجا بأن هذا النص يكرس الحقيقة التاريخية بالقانون بدلا من أن يتركها لكى يحكم عليها التاريخ.

ومنذ ذلك التاريخ حُرّم على أى مؤرخ أن يضع استنتاجات محكمة نورمبرج موضع الشبهات أو المراجعة.

وبلغت الأمور ذروتها، عندما قال حاخام فرنسا الأكبر جوزيف سيتروك في القدس أمام رئيس وزراء إسرائيل الأسبق إسحاق شامير

(وهو نفسه الذى عرض خدماتـه على هتلر ، وانتهكت سياسته القانون الـدولى وقـرارات الأمـم المتجـدة) : إن كل يهـودى فـرنسى هـو ممثل لإسرائيل ، وتأكدوا أن كل يهودى في فرنسا يدافع عما تدافعون عنه . . . رغم أن فكرة الولاء المزدوج ، لم تذر في خاطرى . . . »

[المصدر: لموند ٩ يوليه ١٩٩٠].

●●●

لقد لوحت الصهيونية دائما بشبح معاداة السامية للإقناع بأنها تهديد مستمر ضد إسرائيل ولضرورة الهرولة لنصرتها ومساعدتها . وثمة سوابق تـاريخية ينبغى أن نستقى منهـا العبـر والدروس ، فهنـاك جهود دؤوبـة ومنظمـة تبذل لتشكيل الـرأى العام وصبـه في قوالب ، بعـد أن يصبح مشبعًا « بالمعلومات » التى توحى بنزعة عرقية تغذى معاداة السامية .

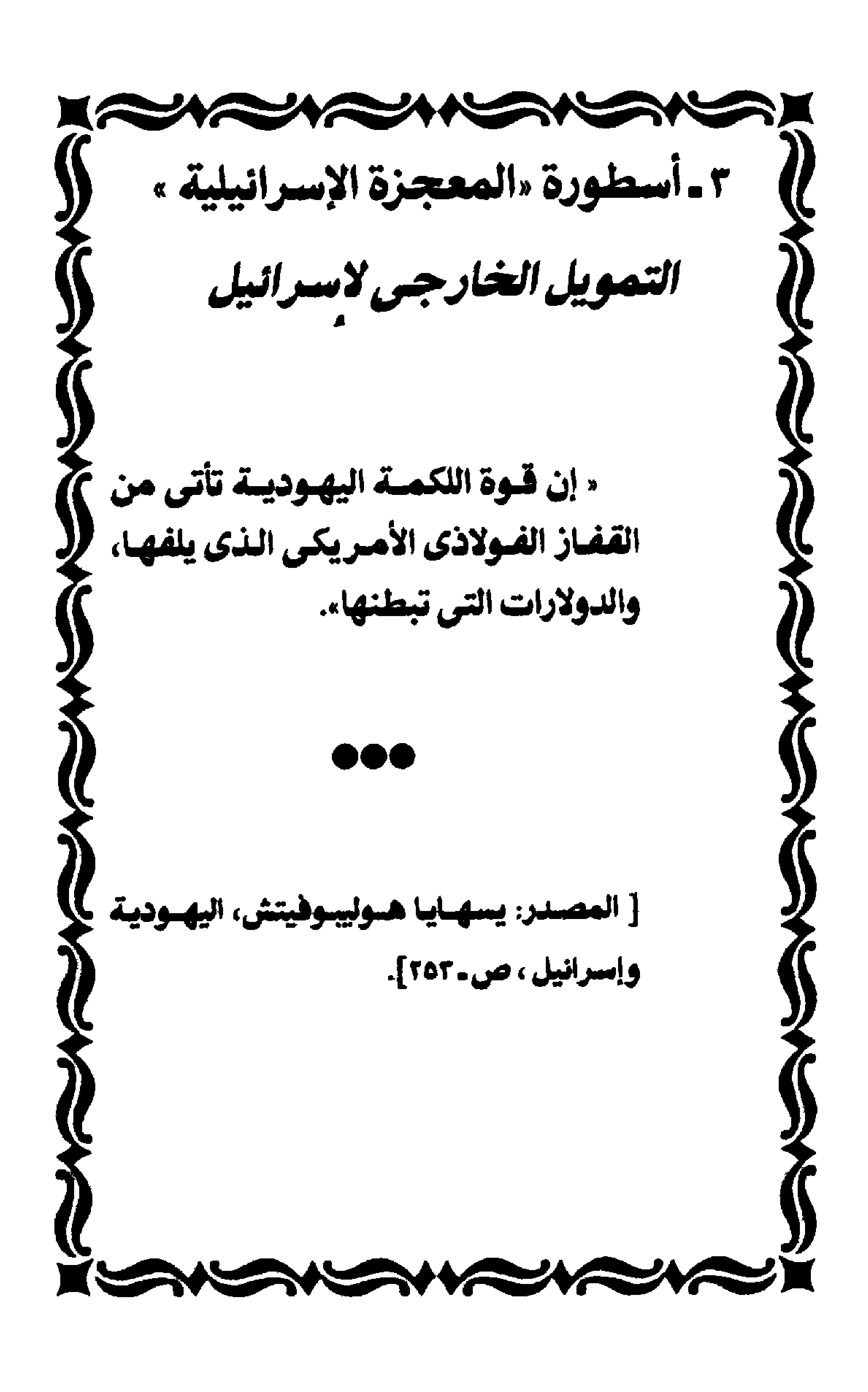
« في بـرلين ، أصبح المسـرح والصحـافـة . . إلخ شأنًـا يهـوديـا : فكبريات الصحف مملوكة لليهود . فإذا ما اتهم الألمان الصحافة بأنها يهودية ، فهذا عين الحقيقة » .

والمثال الصارخ والأخير على ذلك هو حـادث كربنترا الذى وقع في مايـو ١٩٩٠ داخل مقابـر اليهود في مدينـة كربنتـرا ، حيث نبشت فيها المقابر و انتهكت حُرمتها ، وأخرجت جثة أحد الموتى ونقلت إلى مقبرة أخرى .

ولا تزال الحقيقة حول كـربنترا لم تتضح بعد ، وفرض الصمت على

أكثر الشهـود أهمية . وكانت هـذه فرصة لشن هجـوم آخر على كل من تسول له نفســه التشكيك في العقائد التى تضع إسرائيل فـوق كل قانون دولى .

●●●



٣ ـ أسطورة «المعجزة الإسرائيلية »

التمويل الخارجى لإسرائيل

« إن قوة اللكمة اليهودية تأتى من القفاز الفولاذى الأمريكى الذى يلفها، والدولارات التى تبطنها».

●●●

[المصدر: يسهايا هوليبوفيتش، اليهودية وإسرائيل ، ص ـ ٢٥٣].

وفيما يتعلق بالمبالغ التى دفعتها ألمانيا لدولة إسرائيل، سأعطى الكلمة لمن كان المفاوض الرئيسى لقيمة التعويضات، السيد ناحوم جولدمان الذى أورد تفاصيل ذلك في « سيرته الذاتية» التى أهدانى نسخة منها في ٢ أبريل ١٩٧١ ، لكى يشكرنى على المهمات التى قمت بها ، بناء على طلبه ، وقبل ذلك بسنتين ، لدى جمال عبد الناصر، بعد حرب الأيام الستة .

« في أوائل عام ١٩٥١ ، دخلت إسرائيل الحلبة ولأول مرة بتوجيه مذكرتين إلى الحلفاء الأربعة بخصوص المطالبات اليهودية بالتعويضات من ألمانيا الجديدة والتى بلغت مليار ونصف مليار دولار، نصفها من ألمانيا الغربية والنصف الآخر من ألمانيا الشرقية . وقام هذا المبلغ على الأساس الآتى :

« استقبلت إسرائيل خمسمائة ألف يهودى تقريبًا ، وتكلفت إعادة دمج كل منهم نحو ثلاثة آلاف دولار. ونظرا لأن إسرائيل هى التى أنقذت هؤلاء الضحايا من براثن النازية، وتكبدت شخصيًا تكاليف مالية باهظة ، فقد رأت أنها في حِلّ من فرض هذه الطلبات باسم الشعب اليهودي ، رغم أن هذا لا يقوم على أى أساس قانوني ، وذلك لأن الدولة اليهودية لم يكن لها وجود عند قيام النظام النازى» (ص ـ ٢٦٢).

« وفى ظل هذه الظروف ، توجه إلىّ الوزير الإسرائيلى للخارجية في صيف عام ١٩٥١ ، بوصفى رئيس الوكالة اليهودية لفلسطين ، وطلب مني الدعوة إلى عقد مؤتمر للمنظمات اليهودية الكبرى في الولايات المتحدة وبلدان الكومنولث البريطاني وفرنسا ، لدعم المطالبات الإسرائيلية وإيجاد السبل لإقرارها . (ص ـ ٢٦٣) .

« وبقدر كبير من الشجاعة والمروءة ، وافق المستشار الاتحادى كأساس للمناقشة مبلغ مليار دولار . وبعد مناقشات طويلة ، انتهى هذا الجزء من المباحثات بموافقة الوفد الألماني الذى تعهد بأن يوصى حكومته بالمطالبة الإسرائيلية البالغة ثلاثة مليارات مارك (أى بنسبة تقل ٢٥٪ عما طلبناه) » (ص ـ ٢٧٢) .

« وعدت مرة ثانية إلى بون في ٣ يوليه وقدمت التنازل التالي : ١٠٪ من الخمسمائة ملايين ستخصص للضحايا من غير اليهود وستوزع بمعرفة الحكومة الألمانية نفسها » (ص ـ ٢٨٤) .

« . . . وكانت المعاهدات ستوقع فى ١٠ سبتمبر ١٩٥٢ في لوكسمبرج ، وسيمثل المستشار الألماني بلاده ، ووزير الخارجية موشى شاريت ، إسرائيل ، وأنا عن مؤتمر المطالبات » .

« . . . وكانت الدفعات الألمانية عاملا حاسما في الانطلاقة الاقتصادية لإسرائيل خلال تلك الأعوام . وكنت لا أدرى ماذا سيكون مصير إسرائيل في الأوقات الحرجة لاقتصادها ، لو أن حكومة ألمانيا لم تحترم تعهداتها .

فالسكك الحديدية ، والتليفونات ومنشآت الموانى، ونظم الرى، وفروع بأكملها من الصناعة والزراعة، ما كانت ستصبح على ما هى عليه الآن بدون التعويضات الألمانية . وأخيرا، تلقى مئات الآلاف من الضحايا اليهود مبالغ محترمة في هذه السنوات الأخيرة بموجب قانون التعويضات . (ص ـ ٢٨٦) .

« وفى صبيحة يوم وصولى إلى تل أبيب، قمت بزيارة رئيس الوزراء الإسرائيلى بن جوريون، الذى استقبلنى وقد ارتسمت على وجهه علامات الجدية : « لقد كان لى ولك حظ في أن نحيى معجزتين : إنشاء دولة إسرائيل، والتوقيع على الاتفاق مع ألمانيا . وكنت أنا المسئول عن المعجزة الأولى، وأنت عن المعجزة الثانية » . (ص ـ ٢٨٤) .

[المصدر: ناحوم جولدمان، السيرة الذاتية، باريس ، ١٩٦٩] .

وفي كتاب آخر من كتبه، التناقض اليهودى ، لا يحكى ناحوم جولدمان مفاوضاته مع ألمانيا فحسب، بل والكيفية التى ابتز بها تعويضات من النمسا ومن مستشارها راب . فقد قال للمستشار: يجب أن تدفعوا تعويضات لليهود « ويرد عليه المستشار: ـ ولكننا كنا أنفسنا ضحايا الألمان ! » واستطرد جولدمان قائلاً: « في هذه الحالة سأستأجر كبرى دور العرض السينمائى في فينا، وسأعرض فيها كل يوم الفيلم الذى يصور دخول القوات الألمانية وهتلر فيينا في مارس ١٩٣٨» .

وعندئذ قال راب: « موافق ستأخذون أموالكم ! » وكانت هذه الأموال في حدود ٣٠ مليون دولار. وفي وقت لاحق عاد جولدمان وقال: « يجب دفع ٣٠ مليون أخرى ! » فقال راب: لقد اتفقنا على ٣٠ مليون فقط». فرد عليه جولدمان: الآن يجب أن تقدموا أكثر!» وحصل عليها. ثم عاد مرة ثالثة وحصل على نفس المبلغ.

وكان هناك مصدران آخران لتمويل ما يطلق عليه البعض « المعجزة الإسرائيلية » على المستوى الاقتصادى وعلى صعيد التسليح أيضا (بما في ذلك التسلح النووى)، مما ساعد على استحداث أسطورة داود الصغير الذى نجح في أن يقضى على عدوه العملاق جالوت بنبلة صغيرة وهى كناية عن دولة إسرائيل الصغيرة التى انتصرت على جيرانها العرب مجتمعين. فبالإضافة إلى « التعويضات »، تتمتع إسرائيل بإمدادات لا حدَّ لها تقريبا من الأسلحة والأموال التى تأتي أساسا من الولايات المتحدة حيث لعب اللوبى دورا فعالا في ذلك، وكذلك المنح والهبات المقدمة من أبناء « الشتات ».

وقد كشف بنهاس سابير، وزير المالية في ذلك الوقت، أثناء مؤتمر المليارديرات اليهود (كذا) الذي عقد في القدس عام ١٩٦٧، أن دولة إسرائيل قد تلقت في الفترة من ١٩٤٩ إلى ١٩٦٦، ٧ مليارات دولار.

[المصدر: « الإيكونوميست الإسرائيلى »، سبتمر ١٩٦٧].

وكانت المنظمات اليهودية الأمريكية ترسل كل سنة وفي المتوسط،

مليار دولار إلى إسرائيل . (وكانت هذه المساهمات تعتبر « مساهمات خيرية » وتخصم من ضرائب المانح ، أى أنها تقع على عاتق دافعي الضرائب الأمريكيين !) ومع ذلك فمعظم المساهمات كانت تأتى من الدولة الأمريكية مباشرة ، والتى ارتفعت « معونتها » إلى أكثر من ثلاثة مليارات دولار سنويا)، نصفها تقريبًا يتحول إلى منح وهبات لا ترد .

وتتكون هذه المعونة السنوية من شحنات للأسلحة كانت تمول بطريقة خاصة بموجب قانون مراقبة تصدير الأسلحة لعام ١٩٧٦ ، تفاديا لانتقادات الجمهور.

ويكفى أن نذكر هنا أن معونة « مشروع مارشال » المقدمة إلى أوروبا الغربية فى الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٤ ، قد وصلت إلى ١٣ مليار دولار، أى أن دولة إسرائيل بأقل من مليونين من السكان قد حصلت على أكثر من نصف ما تلقاه . مائتى مليون أوروبى .

والعنصر الآخر للمقارنة هو متوسط المعونة السنوية التى حصلت عليها البلدان النامية أثناء الفترة من ١٩٥١ إلى ١٩٥٩ ، والذى لم يتجاوز ٣,٦٤ مليار دولار، في الوقت الذى حصلت فيه إسرائيل بسكانها البالغ عددهم في ذلك الوقت ١,٧ نسمة، على ٤٠٠ مليون .

وعلى سبيل المقارنة أيضا ، فإن المليارات السبعة التى حصلت

عليهـا إسرائيل في ثمـانيـة عشر عـامـا، كمنح ، تمثل مـا يزيـد على مجموع الدخل القـومى السنوى للعمل في كل البلاد العـربية المجاورة (مصر وسوريا ولبنان والأردن) ، الذي بلغ في ١٩٦٥ ، ستة مليارات .

وإذا أخذنـا في الاعتبار المسـاهمة الأمريكيـة وحدهـا ، يلاحظ أن الولايات المتحدة قد منحت من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٧ ، مساعدات بلغت في متوسطها ٤٣٥ دولارا لكل إسرائيلى ، و ٣٦ دولارا لكل عربى ! .

[المصدر: جورج قرم، « مالية إسرائيل »، ١٩٦٨].

وهنـاك مصـدر مالـى آخر مكـون من سندات دولـة إسـرائيل وهي صكوك بالدولارات وتباع في الخارج، ولكن سداد أصولها وفوائدها يتم بالعملة الإسرائيلية .

وهذه السنـدات التي بيعت منها نسبـة ٩٩,٨٪ في ١٩٥١ ، داخل أمريكا ثم ٨٠٪ في ١٩٧٨) وضعت تحت تصرف الاقتصاد الإسرائيلى ما يزيد على ٥ مليارات من الدولارات .

[المصدر: « سندات دولـة إسرائيل » ، ١٩٧٢ ، ص ـ ٢٠٥ ؛ ١٩٨٠ ، ص ـ ١٥٣].

وبين المنح والسنـدات تلقت دولة إسـرائيل من عـام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٨٢ ، أحد عشر مليار ونصف من الدولارات .

ومما يدل على تـواطؤ الحكم مع عالم المال ، حـدث في فرنسـا وحدها عام ١٩٨٢ ، ما يلي :

« تولى جي دي روتشيلد رئاسة الصندوق الاجتماعي اليهودي الموحد» وعين دافيد دي روتشيلد أمينا لصندوقه، والعضو الفرنسي في مجلس إدارة الوكالة اليهودية.

وكان آلان دي روتشيلد رئيسا للمجلس التمثيلي للمؤسسات اليهودية في فرنسا والمجمع الإسرائيل المركزي.

وعين إيلي دي روتشيلد رئيسا للجنة التنفيذية.

وكان إدموند دي روتشيلد رئيسًا للمنظمة الأوروبية لسندات إسرائيل.

وأخيرا كانت أليكس دي روتشيلد رئيسة عالمية لـ « عالية الشباب».

ولكن كان الارتهان بالحكومة الأمريكية أكبر بكثير وخاصة منذ السبعينات.

فقد كانت معونة الحكومة الأمريكية منذ ١٩٤٨، المقدمة إلى إسرائيل قد بلغت ١٨ مليار دولار، ولكن التعجيل بزيادتها قد يصيب المرء بالدوار: وهي بوجه عام أقل من ١٠٠ مليون دولار حتى عام ١٩٧٥، و٢ مليار حتى عام ١٩٨١. وفي يناير ١٩٨٥، طالبت دولة إسرائيل مرة أخرى بمبلغ ١٢ مليار دولار لمدة ٨ سنوات.

أما بالنسبة للدين الخارجي، فقد قفز من ٦ مليارات في ١٩٧٣ إلى ١٠ مليارات في ١٩٧٦، وإلى ١٧ مليار في أول يناير ١٩٨١، أي إلى رقم قياسي قدره ٤٣٥٠ دولارا لكل نسمة!.

وزادت المعونة بفضل العقود من الباطن ، وخاصة في مجال الطيران. كما تتضمن المعونة الاقتصادية لتسهيلات ممنوحة للصادرات الإسرائيلية إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، التى تتمتع بتعريفات تفضيلية ، وبذلك دخلت نسبة٩٦٪ من هذه الصادرات (بمبلغ مليار دولار) كلى الولايات المتحدة خالصة من جميع الضرائب .

وباختصار ، يكفى رقم واحد للدلالة على طابع دولة إسرائيل الصهيونية: فإن مجموع « المعونة » الرسمية الأمريكية التى تتلقاها إسرائيل وحدها ، يعادل ما يزيد على ١٠٠٠ دولار. للفرد، أى كبقشيش يضاف إلى دخله القومى ، وهو يزيد ثلاث مرات على إجمالى الدخل القومى للفرد في مصر، وفي معظم البلدان الأفريقية .

وفي هذا الصدد يفصح الأستاذ يشاياهو ليبوفيتش ، عن رأيه في الصهيونية اليهودية قائلا : « إن نظامنا عفن وفاسد من أساسه » وذلك لسببين اثنين هما :

١ ــ المصيبة كلها نشأت عن أن كل شيء قد ارتكز حول الوطن والدولة . فإذا كان الوطن والدولة هما الغاية في حد ذاتها ، فاليهودية مرفوضة لأن دولة إسرائيل أهم .

« إن القومية هى تدمير لجوهر الإنسان » ودولة إسرائيل ليست بدولة تملك جيشا، ولكنها جيش يملك دولة » .

٢ ـ ارتهان هذه الدولة بالولايات المتحدة .

« والأمريكان لا يهمهم سوى فكرة الاحتفـاظ هنا بجيش من المرتزقة الأمـريكيين فى زى التساحل (الجيش الإسـرائيلى) . وإن قوة اللكمـة اليهوديـة تأتى من القفاز الفـولاذى الأمريكى الذى يلفهـا ، والدولارات *التى تبطنها* » .

●●●

خاتمة

أ- الاستخدام الأمثل للأساطير كخطوة نحو رقى الإنسان

استحدثت جميع الشعوب قبل اكتشاف الكتابة، تقاليد شفهية ارتكزت أحيانا على أحداث حقيقية، ولكنها تقاليد يغلب عليها الطابع الشائع الذى يسعى إلى تبرير - وهو عادة ما كان تبريرا شاعريا - أصولها وتنظيمها الاجتماعى، وممارساتها الثقافية، ومصادر سلطات رؤسائها وتطلعات مجتمعها المحلى.

وهذه الأساطير الكبرى قد رسمت خطوط ملحمة الإنسان، وعبّرت بفضل سردها لبطولات الآلهة أو الأجداد الأقدمين، عن اللحظات العظيمة في مسيرة هذا الإنسان ووعيه بقدراته وواجباته ورسالته في التفوق على أوضاعه من خلال صور ملموسة تولدت عن تجربته وعن آماله؛ فهو دائما ما يصبو إلى شأن أسمى لمستقبله يتحقق فيه كل أحلامه في السعادة والخلاص.

واكتفاءً منا ببعض الأمثلة المأخوذة من مختلف قارات العالم، فإن «رامايانة» الهند هى أروع صورة للرجل والمرأة، شكلتها محن وانتصارات بطلها «راما» وزوجته «سيتا»، وإحساسهما بمشاعر العزة والوفاء بمقتضيات حياة لا تشوبها شائبة، بل واقترب اسم البطل «راما»

من اسم الإلـه « رام ». وقـوة هذه الأسطـورة التى تفـوق مجرد السـرد، وصلت إلى حـدٍّ جعلها مصـدرا استوحتـه الشعوب في حيـاتها لقـرون عـديدة، وذلك بتعظيمهـا لصورة الإنسـان وآفاق حيـاته. وقـد وضع « فالميكى » بعد ذلك النص الذى يجمع كتـابة أجمل التقاليد الشفهية؛ ثم أعـاد الشـاعـر « تـولسيداس » فـي القرن الخـامس عشـر، كتـابـة الـرامايـانة، وفقـا لرؤيـة صـرفية أعمق، وفى قصيـدة لم تستكمل عن الارتقـاء الإنسـانى. وإلى هـذا فإن آخـر كلمـة لفظ بها غـانـدى عنـد اغتياله، والتى بارك بها قاتله، هى « رام ».

ويصدق نفس الشـىء على المهابارا هـاتا، التى بلغت ذروتهـا في «بهـاجـا فادجيتـا »، حيث يطـرح الأميـر أرجـونـا، وفي غمرة معـركـة كوروكشيترا، السؤال الأخير بشأن معنى الحياة ومعنى صراعاته.

وفى حضـارة أخـرى، أى من مفهـوم آخر لعـلاقـات الإنسـان مع الطبيعة ومع غيره من النـاس ومع الرب، فإن الإلياذة، والتى تنسب كل مأثـوراتهـا الشفهيـة والشعبيـة إلى المـؤلف الـذى أعطـاهـا شكلهـا المكتوب، هوميروس، تعـرض أرقى وأعلى صورة يمكن رسمها للرجل من خلال شخصية هكتور مثلا، وهو يسير إلى الموت المحتوم بخطى ثابتة في سبيل نجاة شعبه وسلامته.

وينطبق هذا أيضًا على « بروميثيوس » لاشيل، الرمز الأزلى والخالد على عظمة معارك التحرير.

وهنـاك الملاحم الأفـريقية الكبـرى « كسيـدارا »، وكذلك ملحمـة

خروج قبائل الأزتيك، أو « جوته » الذى جعل من فوست أسطورة لكل نوايا القرن التاسع عشر الأوروبى وأطماعه، أو وستيوفيسكى الذى كتب في قصته « المغفل » رواية جديدة عن حياة المسيح محطماً كل أصنام الحياة الحديثة، وهى شبيهة بتلك الحياة الأخرى للمسيح من خلال مغامرات دون كشوت، الفارس النبى، الذى اصطدم دون أن يضعف بكل المؤسسات التى شاهدت ميلاد سيطرة المال الجديدة.

وتلك بعض الأمثلة على « أسطورة العصور » التى تدعو مرة أخرى مع فيكتور هوجو إلى إيقاظ الإنسان.

وهي في مجموعها تمثل « التاريخ المقدس » الحقيقى للبشرية، أى تاريخ عظمة الإنسان، الذى يحاول تثبيت أقدامه حتى من خلال محاولاته الفاشلة، كيما يتفوق على عاداته وقدراته.

وهذا التاريخ هو التاريخ الذي كتبه المنتصرون وسادة الإمبراطوريات وقادة الجيوش. وهو تاريخ لا يتحرج في أن يستخدم الأساطير لمصلحته عند الاقتضاء، وربطها بعجلة انتصاراته.



ب ـ الأسطورة المتنكرة في ثياب التاريخ واستخدامها السياسي :

إن قراءة هذا الكتاب « الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية » ينبغي ألا تثير لبسا أو غموضا ، لا من الناحية الدينية ولا من الناحية السياسية .

فنقد التفسير الصهيوني للتوراة و « الأسفار التاريخية » (وخاصة سفر يشوع وسفر صموئيل ، وسفر الملوك) ، لا يمس بأى حال من الأحوال التوراة وما جاء فيها من معتقدات دينية . فتضحية سيدنا إبراهيم هى المثال الخالد على تفوق الإنسان على أخلاقياته العابرة وعلى منطقه الضعيف باسم القيم المطلقة التى تماثلها وتضارعها . كما أن « الخروج » سيظل هو الرمز على التخلص من كل أنواع العبودية ، وعلى نداء الرب الذي لا يقاوم نحو الحرية .

ولكن ما نرفضه فهو القراءة الصهيونية القبلية والقومية لهذه النصوص ، باختزالها الفكرة الهائلة لعهد الله مع الإنسان ، ومع كل الناس ، ووجوده في داخلنا جميعا ، لاستنتاج أشر فكرة في تاريخ الإنسانية ألا وهى فكرة « الشعب المختار » الذى اختاره رب متحيز وجزئى (ومن ثَم صنم) ، وذلك للتبرير المسبق لجميع أنواع السيطرة والاستعمار والمذابح . كما لو كان تاريخ العبرانيين أو التاريخ المقدس هو التاريخ الوحيد في العالم .

ولم يدر بخلدنا أبدا وبما عرضناه في هـذا الكتاب الذى وثّقت كل حلقة من حلقاته بمصادرها، فكرة تدمير دولة إسرائيل، بل أردنا وببساطة أن نبطل عنها صفة القداسة، فهى أو أى أرض أخرى ليست أبدا موعودة بدلا مغتصبة، كأرض فرنسا وألمانيا والولايات المتحدة، طبقا لعلاقات القوة التاريخية في كل قرن.

ولا يتعلق الأمر بإعادة التاريخ وإلى ما لا نهاية بطلقات المدافع، ولكن المطالبة بتطبيق قانون دولى لا يخلّد علاقات الغاب.

وفي الحالة الخاصة بالشرق الأوسط، فالمطلوب هو تطبيق قرارات التقسيم التى اتخذتها الأمم المتحدة غداة الحرب الأخيرة والقرار ٢٤٢، وهى القرارات التى تستنكر وتمنع التوغل داخل حدود البلدان المجاورة والاستيلاء على مياهها؛ والتى تنص على ضرورة الجلاء عن الأراضى المحتلة ولا شك أن الاستمرار فى إقامة المستوطنات داخل المناطق المحتلة بطريقة غير شرعية، هو احتلال يجعل من المستحيل إحلال سلام حقيقى وتعايش سلمى ودائم للشعبين المتساويين والمستقلين، وهو السلام الذى يرمز إلى الاحترام المتبادل، دون ادعاء بملكية القدس، أرض اللقاء بين الديانات الثلاث

●●●

وكذلك فإن نقد أسطورة الهولوكوست ليست بالعملية الحسابية الجنائزية لعدد الضحايا، ولكن الاستغلال السياسى من طرف دولة لم

يكن لها وجود عندما اقترفت الجرائم، والمبالغة في الأرقام بصورة تعسفية لمحاولة إثبات أن معاناة البعض لا وجه لتشبيهها بمعاناة الآخرين وإضفاء القداسة عليها (وبالعبارة الدينية نفسها الهولوكوست)، وهي محاولة لصرف النظر عن مذابح أشد قسوة.

وكان أكبر المستفيدين من هذا هم الصهاينة، الذين أظهروا أنفسهم بمثابة الضحايا دون سواهم، وأنشأوا على إثر ذلك دولة إسرائيل، ووضعوها فوق كل قانون دولي.

ولا يتعلق الأمر كذلك بالتشكيك في النوايا الطيبة لملايين الشرفاء الذين اعتقدوا في هذه الأساطير الكاذبة التي روَّجت لها كل وسائل الإعلام.

ولذا فإن هذا الكتاب يهدف إلى إتاحة العناصر للجميع لكي تتاح لهم فرصة الحُكم على شرور الأساطير الصهيونية التي تساندها دون قيد أو شرط، الولايات المتحدة، والتي تولد عنها حتى الآن (خمسة) حروب، كما أنها تشكل بما تمارسه من تأثير ونفوذ بواسطة اللوبي على إحدى القوى الكبرى وهي أمريكا، ومن ثم على الرأي العام العالمي، تهديدًا مستمرا ودائما لوحدة العالم وسلامه.

●●●

جـ- المزيّفون والتاريخ الانتقادى :

لقد وضعنا نصب أعيننا عندما أعطينا لكل معلومة وردت في هذا الكتاب مصدرها والقرينة الدالة على ما نقوله ، أن نبتعد بشكل جذرى عن كل أنواع التزوير التى ترمى إلى الحطّ من قدر أية ديانة أو طائفة ، أو إلى الدعوة إلى الحقد عليها أو اضطهادها. وخير مثال على هذا التزييف هو ما جاء في « بروتوكولات حكماء صهيون » وهو العمل الذى نددت به في كتابى : « فلسطين ، أرض الرسالات الإلهية »، واستنكرت فيه الطرق البوليسية التى تمت بها فبركة هذه البروتوكولات ، والتى استخدمت للأسف الشديد على نطاق واسع « ولا سيما في بعض البلدان العربية ، وهو ما شجبته في حينه . فهذه الرواية البوليسية الخسيسة قد أعطت الفرصة للصهاينة وللإسرائيليين لكى ينددوا ويشجبوا أى نقد لسياستهم في الشرق الأوسط . ولذلك ورغم الإثقال على القارئ الذى يتعجل الوصول إلى الاستنتاجات دون المرور بالأدلة والبراهين مما قد يدعو إلى الضجر والسأم في بعض الأحيان ، فإننا لم نقدم أى أطروحة هنا إلا وهى معززة بالمصادر.

●●●

والعرض التاريخى الذى قدمناه في هذا الكتاب مازال عرضا مؤقتا . وهو ككل تاريخ انتقادى وككل علم من العلوم ، قابل للمراجعة والتنقيح طبقا لاكتشاف عناصر جديدة . فهناك أطنان من المحفوظات الألمانية التى تم الاستيلاء عليها ونقلت إلى الولايات المتحدة ، ولم

يتم جردها بعدُ بالكامل . وهناك محفوظات أخرى في روسيا بدأت تفتح أبوابها بعد أن كانت محرمة على الباحثين .

ومن ثَمَّ فما زال هناك عمل ضخم ينبغى القيام به شريطة عدم الخلط بين الأسطورة والتاريخ ، أو الادعاء بالوصول إلى النتائج قبل البحث كما حاول نوع من الإرهاب الفكرى أن يفرضه حتى الآن فقد اتضح أن عملية « إضفاء القداسة » على نصوص نورمبرج ، كانت هشة جدا .

والتاريخ مثله في ذلك مثل العلوم ، لا يمكن أن ينطلق من بداهات مسبقة لا يجوز المساس بها .

فقد أصدرت محكمة نورمبرج أرقاما اتضح أن معظمها أرقام خاطئة ، تمت مراجعة معظمها واستبعدتها معظم الدوائر العلمية ، وحتى وإن ظلت موضعا للدعاية الإعلامية حيال الرأى العام والطلبة . وتنقيح هذه الأرقام ومراجعتها ليس القصد منه فحصها حسابيا ، ولكن لإظهار الرغبة المتعمدة في تخليد أكذوبة أفضت بالإكراه إلى تزييف التاريخ بصورة منتظمة وتعسفية .

فالأمر لم يقتصر على إغفال موت ١٧ مليون من المواطنين السوفييت ، و٩ ملايين من الألمان ، بل تجاوز ذلك إلى حد إضفاء الطابع المقدس على هذه المعاناة الحقيقية (تحت اسم الهولوكوست) ، مع إنكار إضفائه على الآخرين .

وقد تطلب الأمر لبلوغ هذا الهدف ، انتهاك كل القواعد الأولية للعدالة وإحقاق الحق، فضلا عن رفض كل مناقشة علمية وعلنية، والاقتصار على الاضطهاد وتكميم الأفواه، وهو ما كان مجلبة للشك والارتياب. ولا شك أنه لا توجد إدانة فعالة ضد النازية أكثر من توضيح الحقيقة التاريخية وإقامة البراهين على صحتها.

وهذا هو ما أردنا الإسهام به عند نشرنا لهذا الملف.

●●●



تعقيب

جارودي دون كيشوت

نهاية القرن العشرين

بقلم : حمدان جعفــر

يذكر المفكر الفرنسى روجيه جارودى (١٩١٣م) عام ١٩٦٦ فى كتابه (ماركسية القرن العشرين) أن الأساطير نوعان: أساطير مغلقة وأخرى مفتوحة، وهذه الأخيرة وحدها هى الأساطير الحقيقية.. فهل كان جارودى يتنبأ بأنه سوف يأتى يوم يتناول فيه أشد الأساطير انغلاقا وهى المتعلقة بأسطورة الصهيونية وأسطورة إنشاء دولة إسرائيل وأسطورة تعرض اليهود للاضطهاد من قبل ألمانيا النازية؟ وهل كان يتنبأ أن تجنى عليه الأسطورة الإسرائيلية المغلقة وهو يتناول هذا الموضوع الشائك فى كتابه الحالي «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية»؟.

يعرّف جارودى الأسطورة بمعناها الحقيقى بأنها دعوة لكى نتجاوز حدودنا. ويبدو أنه عندما تناول أشد الأساطير انغلاقا بالنسبة للزعم القائل إن ألمانيا فى عهد هتلر قد أبادت وأحرقت ستة ملايين يهودى قد فتح عليه نار الجحيم. ففى فرنسا وعاصمتها باريس مدينة النور يوجد قانون يعرف باسم قانون (جيسو) صادر عام ١٩٩٠ وهو يقضى بالسجن على كل من يتشكك فى رقم الستة ملايين يهودى الذين يقال إن هتلر وأعوانه قد أبادهم.

لقد اتهمه اللوبى اليهودى فى فرنسا بأنه معاد للسامية وتطرفوا فى هذا الصدد حتى أنه لم يتمكن من طبع كتابه إلا على نفقته الخاصة وهو الذى كانت كبريات دور النشر الفرنسية تتسابق على نشر مؤلفاته. وجارودى فى كتابه الحالى يعد التطرف المرض الفتاك للإنسانية فى نهاية القرن العشرين.

والنقطة الشائكة فى كتابه هى تشكيكه فى أن هتلر أباد بالفعل ستة ملايين يهودى واللوبى الصهيونى يرفض التشكيك فى هذا حتى يضمن للصهيونية أن تدعو لإنشاء دولة إسرائيل وتحل الأسطورة السياسية العرقية محل الأسطورة الدينية . وهو يرسم مقارنة بين تضخيم اليهود لرقم إبادتهم فى الحرب العالمية الثانية وبين الإبادات الفعلية لغيرهم من الأجناس ويقول إذا كان الصهاينة بتضخيم الرقم يصفون هذه الإبادة بأنها أكبر عملية إبادة جماعية فقد نسى هؤلاء أن هناك ستين مليون هندى أمريكى تعرضوا للإبادة وأكثر من مائة مليون من السود الأفارقة تعرضوا للقتل من جرَّاء تجارة الرق، كما أن هناك ١٧ مليون من السلاف قتلوا فى الحرب العالمية الثانية . وأوضح جارودى هدفه من كتابه بأنه يريد فضح هذه الخدعة الأيديولوجية التى تم تخليقها للتمويه وأن اللوبى الصهيونى هو الذى صنع هذه الأسطورة المزيفة خاصة أن معسكرات الاعتقال النازية كانت تضم بجانب اليهود البولنديين والسوفييت وأن الوفيات التى حدثت فمن جراء سوء التغذية .

ويقول جارودى : إنه لا توجد وثائق يقينية بأنه تمت إبادة ستة ملايين يهودى فى معسكرات الإبادة والاعتقال أيام حكم النازيين فى ألمانيا .

والمؤلف يسأل الصهاينة فى كتابه هل تعلَّمت إسرائيل من المحارق النازية ما كان يجب أن تتعلمه؟ ويرد جارودى بقوله : «إن إسرائيل لم تتعلم إلا شهوة الانتقام وإعادة إنتاج الآلام وحرق بيوت الأطفال والشيوخ فى البلاد العربية» .

ويتساءل المؤلف: من أين جاء رقم الستة ملايين يهودى الذين يقال إنه قد تم حرقهم؟ ويجيب بتساؤل آخر: كيف يمكن أن نؤكد أن الذين رمى بهم هتلر فى الأفران هم يهود فقط؟ أو هم من جميع الشعوب؟ بل هل يوجد أحد يستطيع أن يؤكد أن الذين ألقى بهم هتلر فى المحرقة كانوا أحياء أو موتى ؟

ويفضح جارودى هذه الأسطورة العنصرية التى يروج لها الصهاينة لتبرير إقامة وطن لليهود فى فلسطين على حساب ألوف: وهو يستند إلى شهادات أشخاص لا يمكن الشك فيهم. فالمخرج سبيلبرج الذى أنتج فيلم (قائمة شيندلر) عن المحارق ضد اليهود أعلنت زوجته إميلى أن زوجها لم يكن بطلا قد ساعد عددًا من اليهود للفرار من معسكرات الإبادة وقالت إن زوجها كان يتاجر باليهود مقابل وعدهم بالتهريب من ألمانيا وكان يتركهم جوعى يعانون من البرد فى المرافئ. وبهذا كان زوجها تاجر شنطة يستفيد من هذه التجارة الآدمية.

بل لقد أبرز جارودى التواطؤ بين اليهود والنازية. ويستند جارودى إلى ماكتبه توم سيجيف فى كتابه (المليون السابع) عندما قال: **«لم يكن إنقاذ حياة يهود أوروبا على رأس أولويات طبقة زعماء الحركة الصهيونية فالأهمية الكبرى كانت العمل على تأسيس دولة»** ويوضح جارودى كيف التقى هذا الهدف العنصرى مع الفكر العنصري النازى الذى يقوم على أساس نقاء الدم. وكان الهدف هو النقل الجماعى لليهود إلى فلسطين لإنشاء دولة إسرائيل.

ويوضح جارودى كيف تتم عملية التزييف للوثائق فقد استندت محكمة نورمبرج التى أنشئت لمحاكمة مجرمى الحرب من النازيين على شهادة على شكل تقرير كتبته فتاة يهودية كانت من ضمن المعتقلات فى المعسكرات الألمانية وأصدرت كتابا بعنوان (يوميات آن فرانك) وتحدثت فيه عن غرف الغاز لحرق اليهود. ويقول جارودى: إن مخطوطة الكتاب قد كتبت بقلم جاف وهو قلم لم يكن معروفا قبل عام ١٩٥١ فى حين أن هذه الفتاة آن فرانك قد ماتت عام ١٩٤٥ .

ويشكك جارودى فى معنى تعبير (الحل النهائى) لليهود فى ألمانيا فالمؤرخون المغرضون فسروا التعبير على أن المقصود به إبادة اليهود وحرقهم فالحل النهائى قد يعنى ترحيل اليهود لا حرق اليهود. ويؤكد جارودى أنه لم يجد أبدا تعبير الحل النهائى للمسألة اليهودية فى أى مستند رسمى وقعه هتلر. وأضاف موضحًا أن هذا التعبير هو اختراع جديد أضيف وألصق بالنازية لتبرير النزعة الصهيونية الداعية لإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين .

هذا هو جارودى: إنه دون كيشوت جديد فى القرن العشرين يحارب طواحين الهواء والأشباح والخرافات والأساطير العنصرية الضيقة الأفق لكى تتأسس دولة إسرائيل على حساب الحق العربى فهذه الأسطورة تستند إلى قول قديم: إن الله قد وعد اليهود بالأرض الموعودة ويسخر جارودى من هذه الدعوة التى تصور الله وكأنه قد منحهم عقدا موقعا بالملكية .

ومن هنا جاءت الحملة من اللوبى الصهيونى ضد جارودى لأنه تجرأ أو مد يده فى عش الزنابير. وقد تعرض للهجوم مع جارودي الأب بيار وهو من كبار رجالات الدين المسيحى الذى كل جريمته أنه طالب بمناقشة المؤرخين .

فماذا يفعل جارودى إزاء هذه الحملة الشعواء ضده حتى فى مدينة النور باريس؟ إنه لم يملك إلا الصمت فهو يدرك أن الصهيونية تستريح للأكذوبة التى روجتها عن المحارق النازية حتى تروج لبضاعتها بإنشاء دولة إسرائيل وهى دولة يقول عنها جارودى إنها بعد أكثر من مرور خمسة وأربعين عاما لاتزال دولة بلا دستور بلا حدود ثابتة وبلا تسمية محددة وهى تتأرجح فى تسمية نفسها ما بين دولة إسرائيل وكيان إسرائيل ودولة المعاد .

فهل الحملة على جارودى بهذه الضراوة لأنه فضح الأساطير العنصرية الإسرائيلية فقط ؟

أم ينضاف إلى هذا أنه مفكر أشهر إسلامه وجاء فضحه للوبى العنصرى دعامة للعرب؟ لقد جمع جارودى بين منظورين : المنظور الإسلامى الذى ينادى بالحق وبالحقيقة والمنظور العلمى الذى ينادى بصدق ويقينية الوثائق التاريخية حتى لا نحيا وسط أساطير هى من عمل صناع الأساطير السياسية بهدف عنصرى .

وجارودى الذى بدأ رحلته الفكرية فى صفوف الماركسيين فى سنوات ١٩٥٠ و ١٩٦٠ وكان مُنَظِّرًا كبيرا للفكر الماركسى الفرنسى قد

اهتدى إلى الإسلام وتسمى باسم رجاء جارودى ومن أشهر مؤلفاته :

(النظرية المادية للمعرفة)؛ (فكر هيجل)؛ (أزمة فى الشيوعية : نقطة تحول الاشتراكية)؛ (منظورات الإنسان)؛ (ماركسية القرن العشرين)؛ (حوار الحضارات)؛ (واقعية بلا ضفاف)؛ (حفارو القبور)؛ (الأصوليات)؛ (مشروع الأمل)؛ (أسئلة موجهة إلى سارتر) .

تنبيـــه ...

تحـاشيا لـلإثقال علـى القاريْ العـربى الكريـم، فقد تـوخينا عنـد الترجمـة إيجاز بعض التفـاصيل التى اقتطفهـا المـؤلف من الصحف الأجنبية، وهى تفـاصيل تهم القاريْ الغـربي في المقام الأول، ولا تخل بسياق الكلام.

قسم الترجمـــة

دار الغــد العربى

المحتويات

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية

٥٩٥٧ / ١٩٩٦

الترقيم الدولى

I.S.B.N.

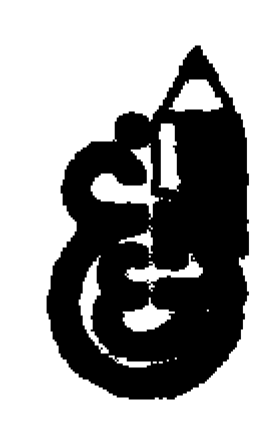
977 - 5066 - 32 - 8

طبع بمطـــابع

دار الغـــد العربى

٣ شارع دانش ـ العباسية ـ القاهرة

ت : ٢٩٧٣٨٧٠ ـ ٢٨٥٦١٢٢





جارودى... وديموقراطية الغرب

في الوقت الذى تنفق فيه بـريطانيا ملايين الجنيهات الإسترلينية لحراسة « سلمان رشدى » صاحب كتاب آيات شيطانية والـذى أفتى الخومينى بإباحة دمـه لتهجمه على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الإسلام !!

وفي الوقت نفسـه وبدون أية مناسبـة خصصت مجلة الإكسبـريس الفرنسيـة في عـدد ١٦ مـايـو ١٩٩٦ ست صفحـات لتحقيق نشر فيـه أن السيد المسيح . ليس لـه معجـزات ولم يـولـد في العـام الميـلادى الأول، وأنـه فقط كان فـلاحًا ثـوريا ضد السلطـة الرومـانية !!.

يحدث هذا في الوقت الذى لم يجـد فيه الفيلسوف الكبير رجاء جارودى أى ناشر فـرنسى ينشر له كتابه هـذا، فينشره على نفقتـه الخاصـة . وفور صـدور الكتاب قـامت الدنيـا ولم تقعد على جـارودى لأنه قـال الحقيقة، حقيقة أن كل ما تدعيه الصهيونية العالمية هـو زيف وبهتان، وما هو إلا أساطير خرافية ما أنزل الله بها مـن سلطان، ووقف جارودى ــ الفيلسوف . . والمفكـر. والعالم أمـام هذه العـاصفة الهـوجاء كـالطود الشامخ تتكسر عليه الزوابع والعواصف لا تأخذ منه مأخذًا.

وفي باريس . . عاصمة العلم والنـور والحرية !! كما يزعمون ينتظر جـارودى الحكم بالسجن لمدة عام لأنه مس قـدس الأقداس وكشف عن زيف دعـوى الصهاينة . . ومثل سقـراط، فإن جارودى يواجـه مصيره برباطة جأش نادرة . . ذلك أنه يكفيه أنه قال الحقيقة . . وليكن ما يكون.

ونحن إذ نقدم ترجمة أمينـة لهذا الكتاب إلى قراء العربية، فإننا نشعر أن هـذ ... عبنا العظيم وأمتنـا العربيـة الخـالدة . . ليعـرف القارىء حقيقـة الأسـاطير الخـرافية ... اسـة الإسرائيلية.

إنه كتاب كل عربي يعيش من المحيط إلى الخليج . . يعرى حقيقة الدولة ا... اذبة ويجعلنا نعيد التفكير مرة أخرى . . . هل عملية التطبيع مع الصهيونية . . تؤدى ... يقى أم أنها إحدى خدع اليهود الماكرة ؟ !!

« حمدان جعفر »

